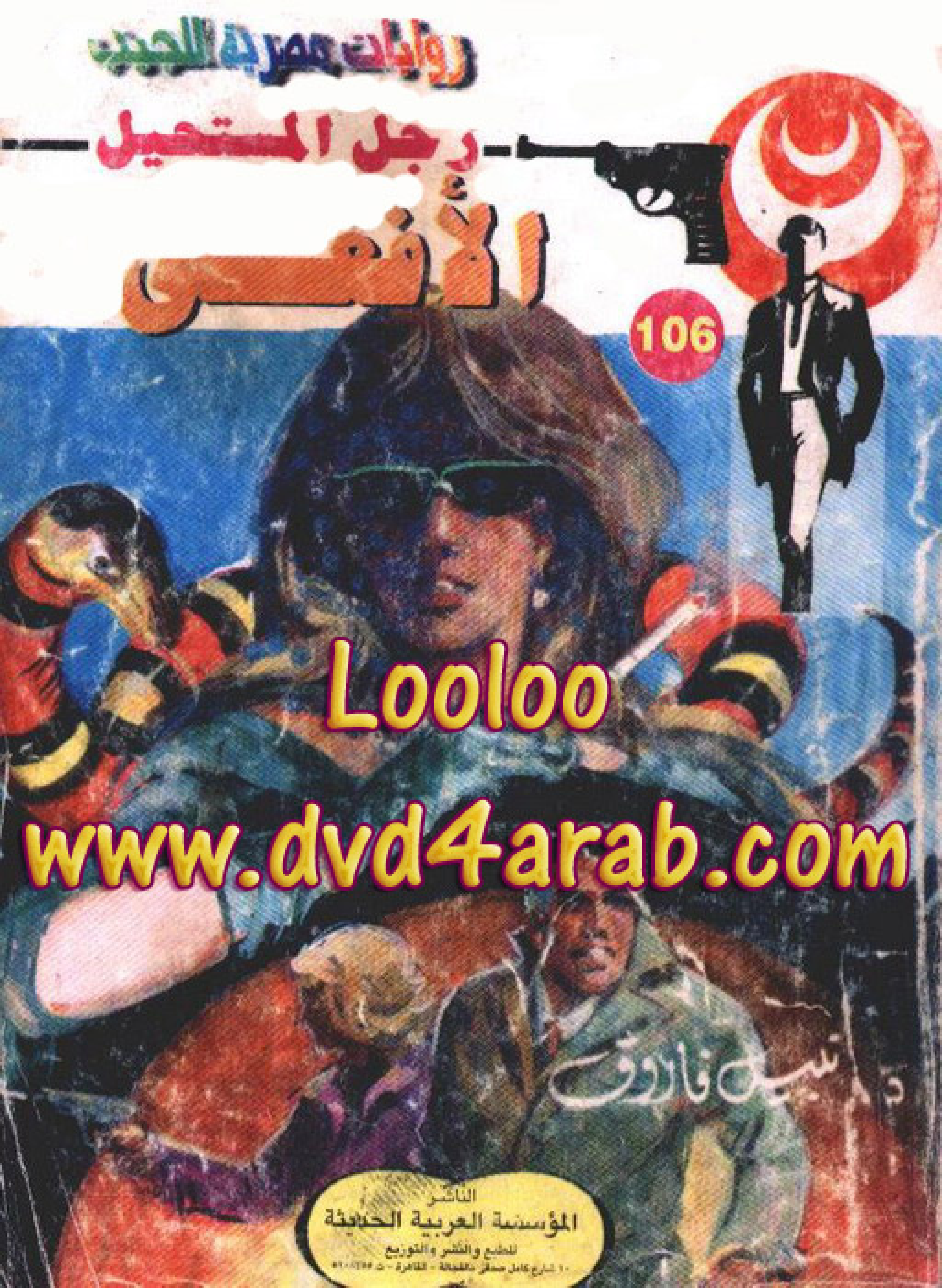

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الأفعى
106
Looloo
www.dvd4arab.com
د. نبيل فاروق
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الزعيمة ..

انطلقت طائرة خاصة صغيرة، تحلّق فوق نهر (ريوجراند)، إحدى مناطق الحدود الأمريكية المكسيكية، وعبرته بسرعتها الفائقة، من الشمال إلى الجنوب، فى طريقها إلى قلب (المكسيك)، وهى تحمل راكبها الوحيد، الذى بدا عليه شىء من التململ والتوتر، وهو يشعل سيجارته، ويلقى نظرة عبر نافذة الطائرة، قبل أن يقول لقائدها فى عصبية :

- إننا نتجه إلى (المكسيك) .

ابتسم قائد الطائرة، وهو يجيبه فى بساطة :

- بل نحن فوقها بالفعل .

قال الرجل فى عصبية أكثر :

- ولكن أحدًا لم يخبرنى أن اللقاء سيكون هناك .

هزّ الطيّار كتفيه، وهو يقول فى هدوء :

- وهل يصنع هذا فارقًا ؟

صمت الرجل بضع لحظات، وهو ينفث دخان سيجارته فى قوة، ويعقد حاجبيه مفكرًا فى عمق، قبل أن يغمغم فى توتر ملحوظ :

- كلا ، ولكن ..

قاطعه الطيّار فى هدوء :

- ولكن ماذا ؟

انعقد حاجبا الرجل أكثر ، وهو يقول فى حدة :

- كان المفترض أن يخبرونى .

اكتست لهجة الطيّار بصرامة مباغتة ، وهو يقول :

- كلاً .. بل من الضرورى أن يحدث العكس تمامًا ، فالزعيمة لا تميل قط إلى كشف أوراقها .

ارتفع حاجبا الرجل ، وهو يهتف :

- الزعيمة ؟!

ثم عادا ينعقدان فى غضب ، مع استطردته الساخطة :

- هل سأعمل مع امرأة ؟

قال الطيّار فى حزم :

- وما الفارق ؟.. ستحصل على أجرك كاملاً ، بل وأكاد أؤكّد لك أنك ستحصل معها على ما يفوق أجرك المعتاد ، فهى سخية للغاية .

ورفع أحد حاجبيه وخفضه بسرعة ، وهو يضيف :

- وباهرة الحسن .

تطلّع إليه الرجل لحظة فى صمت ، وهو ينفث دخان

سيجارته مرات ومرات، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، متمتمًا:

- نعم ... وما الفارق ؟!

وعاد إلى صمته الطويل ، حتى هبطت الطائرة فى مطار خاص ، بالقرب من إحدى القرى المكسيكية ، ووجد فى انتظاره سيارة كبيرة فاخرة ، انحنى أمامه سائقها فى احترام ، وهو يقول :

- مرحبًا يا سنيور (جيتزو) .. السيّدة تنتظرك على أحر من الجمر .

كاد الرجل يعترض ، ويشير إلى أن اسمه ليس (جيتزو) ، إلا أنه ، ولسبب ما ، آثر الصمت ، ودلف إلى السيارة فى سرعة ، فانطلق به سائقها عبر طرقات واسعة غير ممهّدة ، تشق طريقها وسط قرى مكسيكية تقليدية ، بمنازلها ذات الطابق الواحد ، وسكانها البسطاء ، فى ملابسهم البيضاء ، وقبعاتهم الكبيرة ، المصنوعة من القش ..

وشعر الرجل طوال الرحلة بدهشة حقيقية ، وهو يتساءل عما دعا زعيمة منظمة ضخمة إلى أن تتخذ هذه المنطقة الفقيرة البسيطة مقرًا لها ، إلا أنه دفن تساؤله هذا فى صدره ، مع كل مشاعره الأخرى ، واكتفى بالجلوس فى المقعد الخلفى ساكنًا ، وإشعال

سيجارة أخرى ، راح ينفث دخانها فى صمت ، والسيارة تواصل به رحلتها ، التى استغرقت ربع الساعة فحسب ، قبل أن يقول سائقها :

ـ لقد وصلنا تقريبًا يا سنيور (جيتزو) ، وعندما ندور حول هذا الجبل ، ستجد المنزل أمامنا مباشرة .

قالها ، وهو يدور بالفعل حول الجبل ، و...

واتسعت عينا الرجل فى دهشة عارمة ، وهو يحدق فى ذلك الذى أطلق عليه السائق اسم (المنزل) ..

وخُيِّل إليه أن هذا السائق أعمى أو مختلّ ..

فالمكان لم يكن أبدًا مجرَّد منزل ، وإنما هو قصر منيف ، رائع التصميم والتشييد ، تحيط به حديقة غنّاء واسعة ، وسور مرتفع ، انتشرت فيه أبراج الحراسة ، التى يطلّ من كل منها كشّاف قوى ، إلى جوار حارس ضخم ، مسلّح بمدفع آلى قوى ..

والعجيب أن موقع القصر تم اختياره بدقة مدهشة ، بحيث لا يمكن رؤيته إلا من زاوية واحدة ، وعبر الطريق الخاص ، الذى تم شقه إليه ، على نحو يجعله غير ملحوظ ، حتى بالنسبة لأية طائرة عابرة ، تطير فوق المكان فى ساعات النهار ، ومع ذلك البروز الطبيعى ، عند قمة الجبل ، كان من الطبيعى أن يختفى

القصر عن الأنظار تماما ، من كل الزوايا الأخرى ..

وفى انبهار شديد ، هتف الرجل ، والسيارة تتوقف به أمام البوّابة الوحيدة ، فى السور المحيط بالقصر :

ـ أهذا ما تطلق عليه اسم المنزل ؟!

ابتسم السائق ، وهو يقول :

ـ الزعيمة تستخدم دومًا هذا المصطلح دون سواه .. إنها أوامرها ..

هزّ الرجل رأسه فى حيرة ، وهو يتمتم :

ـ كم أتوق لرؤية زعيمتكم هذه ؟!

تمتم السائق ، وهو يتابع ببصره طاقم الحراسة ، الذى تقدّم نحو السيارة :

ـ عما قريب يا سنيور .. عما قريب .

تقدّم طاقم الحراسة من الرجل ، وقال السائق فى هدوء ، وهو يغادر السيارة :

ـ سنيور (جيتزو) ، الذى تنتظره السنيورا .

تطلّع رئيس طاقم الحراسة إلى وجه الرجل فى اهتمام ، وهو يراجع ما يراه أمامه على صورة كبيرة ، فى الملف الذى يحمله ، قبل أن يقول فى هدوء مهذّب :

ـ مرحبًا يا سنيور .. هل لك أن تتبعنا ؟

غادر الرجل السيارة ، وتقدّم نحو البوّابة ، فأحاط به

طاقم الحراسة فى سرعة ، وعلى نحو يوحى بالدقة وحسن التنظيم ، حتى عبر البوّابة ، ودخل إلى حجرة كبيرة ، أشار رئيس طاقم الحراسة إلى جهاز فى أحد أركانها ، قائلا :

ـ هل تسمح ؟

سأله الرجل فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابه فى هدوء :

ـ مجرّد إجراءات أمنية .. اطمئن .. كل ما عليك هو أن تسلمنا سلاحك ، وبعدها سيقوم الجهاز بكل الفحوص اللازمة .

قال الرجل فى عصبية :

ـ لم أعتد التخلّى عن مسدسى قط .

ابتسم قائد الحراسة فى هدوء ، وهو يمدّ يده إليه ، قائلا :

ـ مسدسك يا سنيور .

ومع قوله ، تحفّز أفراد الطاقم ، وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية نحو الرجل ، الذى أسرع يلتقط مسدسه ، ويناوله إلى رئيسهم ، قائلا :

ـ ولكن للضرورة أحكام .

التقط رئيس طاقم الحراسة المسدس ، ووضعه داخل درج عادى ، وهو يقول :

ـ لا تقلق بشأنه ، ستستعيده عند انصرافك .

ثم أشار بيده إلى الجهاز ، مستطردا فى حزم :

ـ والآن يا سنيور .

عقد الرجل حاجبيه فى حنق ، ولكنه أطاع الأمر ، ودلف إلى الجهاز ، فقال رئيس طاقم الحراسة فى حزم :

ـ انظر أمامك مباشرة ، وضع راحتيك فوق هذه الشاشة الصغيرة أمامك .

نفّذ الرجل ما قاله رئيس طاقم الحراسة ، الذى ضغط زرًا فى الجهاز ، فبدأ عمله على الفور ، وتألّقت الشاشة بضوء أخضر باهت ، فى حين أضىء مصباح بنفسجى اللون أمام وجه الرجل ، الذى سأل فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه رئيس طاقم الحراسة فى هدوء :

ـ جهاز فحص أمن شامل ، ليكشف أية أسلحة إضافية تحملها ، ويراجع بياناتك المدوّنة لدينا ، مثل الطول والعرض والسمات الرئيسية ، مع فحص لبصمات أصابعك ، ومقارنتها بالموجودة فى ملفك ، وأشعة فوق بنفسجية ، لمعرفة ما إذا كنت تخفى ملامحك بأى نوع من أنواع التنكر .

اتسعت عينا الرجل فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ ولماذا كل هذا ؟.. هل سألتقى برئيس الولايات المتحدة الأمريكية ؟!

ابتسم رئيس الطاقم ، وهو يقول فى سخرية :

ـ لست أعتقد أن مقابلته تحتاج إلى كل هذا .. إننا ننفرد وحدنا بأساليب خاصة فريدة ، وزعيمتنا ترى أن الحذر أفضل من الفشل .

وراجع البيانات ، التى سجلتها شاشة صغيرة على الجسم الخارجى للجهاز ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ تفضّل يا سنيور .. السنيورا ستلتقى بك الآن .

قال الرجل فى عصبية :

ـ عجبًا !.. هل ستكتفون بهذا ؟!.. ألا تحتاجون لعيّنة دم ، أو لرسم مخ مقطعى ؟

ابتسم رئيس الطاقم ، مجيبًا :

ـ ليس فى هذه المرة .. ربما فيما بعد .

وقاده فى هدوء إلى سيارة صغيرة مكشوفة ، من ذلك الطراز الذى يستخدم فى ملاعب الجولف (*) ، وهو يتابع :

(*) الجولف : رياضة تمارس بعصى وكرات مخصوصة ، وتلعب غالبًا فى أراض خلوية خضراء ، أو داخل مضمار ، بحيث تسقط الكرة داخل حفر عددها ٩ أو ١٨ ، بترتيب متسلسل ، وبأقل عدد ممكن من الضربات ، والفائز هو من يحصل على أقل عدد من الضربات ، أو يفوز بأكبر عدد من الحفر .

ـ سأبلغ السنيورا أنك فى الطريق إليها .

جلس الرجل فى سيارة الجولف متوترًا ، وانطلق به سائقها عبر الحديقة الواسعة ، ودار حول القصر ، إلى الجانب المحجوب منه فى مواجهة الجبل ، واتجه مباشرة إلى حوض سباحة كبير ..

واتسعت عينا الرجل فى انبهار شديد هذه المرة ..

فأمامه مباشرة ، عند طرف لوح القفز ، المعلّق فوق حوض السباحة ، كانت تقف أجمل امرأة رآها ، فى حياته كلها ..

تحفة من الجمال والرشاقة والنعومة ..

وبصوت خنقه الانبهار والانفعال ، هتف الرجل :

ـ ربّاه .. من هذه ؟!.. (فينوس)(*)

راقبها وقلبه يخفق فى عنف ، وهى تثب من لوح القفز فى رشاقة ، وتطير فى الهواء لحظة ، قبل أن تغوص فى مياه حوض السباحة ، وتختفى تحتها بضع لحظات أخرى ، ثم تعود إلى السطح ، فى نفس اللحظة ، التى توقّفت فيها سيارة الجولف أمام الحوض ، وقال له سائقها فى احترام :

(*) فينوس : آلهة الحب والجمال والإخصاب عند الرومان .

- وصلنا يا سنيور .

التفت إليه فى دهشة عجيبة ، وحدّق فى وجهه لحظة فى صمت ، قبل أن يهتف فجأة :

- آه .. بالتأكيد .. شكرًا لك .

وغادر سيارة الجولف بسرعة ، واتجه نحو الحوض ، فى نفس اللحظة التى غادرته فيها تلك الفاتنة ، والتقطت منشفة لتجفف شعرها الأشقر الطويل ، وهى تتطلع إليه ، قائلة :

- مرحبًا يا (توماس) .. هل كانت رحلتك إلى هنا جيّدة ؟

خاطبته باسمه الأوّل ، ودون ألقاب ، كما لو أنها تعرفه منذ فترة طويلة ، فمدّ يده ليصافحها ، وهو يجيب فى صوت مضطرب مبحوح :

- كانت رائعة يا سيّدتى ، ولكن أروع ما فيها هو رؤيتك .

ابتسمت فى شىء من السخرية ، متجاهلة يده الممدودة إليها ، والتقطت علبة سجائرها ، ودسّت سيجارة طويلة رفيعة فى مبسم من الذهب ، ووضعته بين شفتيها ، قائلة :

- (توماس كلارك) .. هذا اسمك بالكامل . أليس كذلك؟

ضايقه أنها لم تصافحه ، ولكنه طرح هذا الشعور فى سرعة ، وهو يلتقط قدّاحته ، ليشعل سيجارتها ، قائلا :

- نعم يا سيّدتى .. هذا اسمى ، الذى يخاطبنى به الجميع ، أما الأصدقاء ، فيخاطبوننى باسم (توم) فحسب .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول :

- حسن يا (توم) .. ألديك فكرة عما طلبت حضورك من أجله ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا .

أومأت برأسها متفهّمة ، واتجهت نحو القصر ، فتبعها فى صمت ، وأبهرته تلك الديكورات الفخمة داخله ، وقال فى اهتمام شديد ، وهو يشير إلى لوحة كبيرة ، تحتل واجهة أنيقة :

- إنها واحدةٌ من لوحات (بول سيزان)(*) .. أليس كذلك ؟!

(*) بول سيزان : (١٨٣٩ - ١٩٠٦ م) : مصور فرنسى ، مكانته رفيعة فى الفن الحديث ، ساعده أستاذه (بيسارو) على عرض بعض أعماله فى معرض التأثيين الأوّل ، عام ١٨٧٤ م ، ويمتاز بألوانه الحية ، وتعمقه فى تحليل الظل والنور .

التفتت إليه فى دهشة ، ثم ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ عجبًا !.. لديك خبرة جيدة بالفن يا (توم) ، على الرغم من أننى كنت أتصوَّر أن الذين يمتهنون مهنتك لا يهتمون بمثل هذه الأمور فى المعتاد .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لقد تطوَّرت المهنة كثيرًا يا سيِّدتى ، فى الآونة الأخيرة .

واصلت طريقها ، وهى تقول فى لا مبالاة :

ـ أعلم هذا ، وإلا ما اتصلت بك بالتحديد .

قادته إلى حجرة مكتب كبيرة ، واتخذت مجلسها خلف مكتب ضخم ، وهى ما زالت ترتدى ثوب الاستحمام ذا القطعتين ، وأشارت له بالجلوس ، مستطردة :

ـ ولكن السؤال هو : إلى أى مدى بلغ هذا التطوّر ؟

اتخذ مجلسه بدوره ، وهو يسألها :

ـ ما المدى الذى تتوقعينه ؟

قالت فى سخرية ، وهى تنفث دخان سيجارتها :

ـ أكثر مما تتصوَّر .

ثم تراجعت فى مقعدها ، مضيفة فى جدية واضحة :

ـ قديمًا ، كان القاتل المحترف يعمل منفردًا ،

ولا يختار زبائنه ، بقدر ما يختارونه هم ، كما كان يضيع وقتًا ضخمًا فى إجراء اتصالاته بهم ، حتى يحصل على المعلومات اللازمة فى سرية تامة ، ويتسلم نقوده دون مخاطر ، بعد تنفيذ المهمة .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، قبل أن تضيف :

ـ أما الآن ، فالأمر يختلف تمامًا .

أومأ (توماس) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

ـ هذا صحيح .

استرخت فى مقعدها ، وتابعت فى هدوء ، وكأنها لم تسمعه :

ـ أنت يا (توماس كلارك) ابتكرت شكلاً جديدًا للمهنة .. اتحاد القتلة المأجورين .. فكرة رائعة ، تشف عن عبقرية حقيقية ، وروح ابتكار نادرة .

غمغم ، وهو يتطلّع إليها فى اهتمام :

ـ أشكرك .

أومأت برأسها ردًا على كلمته ، واستطردت دون انقطاع :

ـ ولقد أعجبتنى الفكرة كثيرًا فى الواقع ، وجال بخاطرى أن تنظيمًا كهذا ، يستحق أن يعتمد عليه المرء

فى أمور شتى ، ولكننى أردت معرفة بعض التفاصيل عنه أولًا ، ورأيت أن أفضل من يمكنه أن يمدنى بهذه التفاصيل ، هو رئيس التنظيم ومبتكره ، ولهذا طلبت حضورك إلى هنا ، ونقدتك مليون دولار كدفعة أولى ، قبل حتى أن نعقد الاتفاق بيننا .

اعتدل (توماس) فى مجلسه ، قائلا :

ـ هذا بالضبط ماجعلنى أوافق على الحضور إليك شخصيًا ؛ فقد أدهشنى أن يدفع شخص ما مليون دولار نقدًا ، دون أية التزامات ، قبل أن يعقد اتفاقًا واضحًا ملزمًا ، مع الطرف الآخر .

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

ـ يمكنك اعتبار المبلغ مجرَّد عربون صداقة ، أو إثبات لحسن النوايا .

تطلَّع إليها بضع لحظات فى صمت ، والحيرة تملأ نفسه ، قبل أن يميل إلى الأمام ، ويسألها مباشرة :

ـ ما الذى تريدينه بالضبط يا سيِّدتى ؟

أشارت بيدها فى هدوء ، قائلة :

ـ لقد سمعتنى .. أريد معرفة كل التفاصيل .

حدجها بنظرة شك وحذر ، قبل أن يحسم أمره ، ويتراجع فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلا :

ـ فليكن يا سيِّدتى .. سأخبرك بكل ما أعرفه .

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ خاطبنى بلقب سنيورا ، فالجميع هنا يستخدمون هذا اللقب .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ فليكن يا سنيورا .. سأخبرك بكل شىء .

وصمت لحظة متنحنحًا ، قبل أن يقول فى جدية :

ـ نحن عشرة من المحترفين ، نعمل بأحدث الوسائل المعروفة ، عبر شبكة خاصة ، هى الأولى من نوعها ، وفيها لا يوجد احتكاك بيننا وبين العملاء ، إلا فيما ندر ، فنحن نتلقَّى المعلومات الخاصة بالشخص المراد التخلُّص منه بوساطة الفاكس ، أو شبكة الكمبيوتر المفتوحة ، ونجتمع لدراسة الموقف معًا ، وفى اجتماعنا تتم مراجعة كل الأمور الخاصة بالهدف .. بياناته الشخصية ، حالته الاجتماعية ، صوره ، معارفه ، ميوله ، وحتى تاريخه السياسى والعملى والمرضى أيضًا .. ثم نتخذ القرار بشأنه .

رفعت أحد حاجبيها الجميلين ، وهى تقول فى تساؤل :

ـ القرار ؟!

أومأ برأسه ، قائلاً :

ـ نعم .. إننا نحدّد الوسيلة المثلى للتخلّص منه ، طبقًا لما يطلبه العميل ، ثم ننتخب من بيننا الشخص المناسب للقيام بالمهمة ، وبعدها نبلغ العميل بالرقم الذى حددناه ، مقابل التخلص من الهدف ، وعندئذ يقوم العميل بتحويل نصف المبلغ المطلوب إلى حساب خاص فى (سويسرا) ، وعندما يصلنا إشعار بهذا ، نقوم بتنفيذ العملية على الفور ، وبعدها يدفع العميل النصف المتبقّى .

سألته فى اهتمام :

ـ وماذا لو لم يفعل ؟

مطّ شفتيه ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ، نضطر للقيام بعمل مجانى .

ثم ابتسم فى خبث ، مستطردًا :

ـ ونغتال العميل نفسه .

رفعت حاجبيها لحظة ، وهى تبتسم ابتسامة واسعة ، ثم خفضتهما ، وضحكت قائلة :

ـ هذا الأسلوب يروق لى بالفعل .

وأطلقت ضحكة عذبة ، انخلع لها قلبه من صدره ، ورفرف حول رأسه لحظات ، قبل أن يعود إلى موضعه ، ويخفق فى عنف ، وهى تسأله :

ـ ولكن ما الذى كنت تقصده ، بأنكم تجدون الوسيلة المثلى للقضاء على الهدف ، طبقًا لرغبة العميل ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ إننا نتعامل مع شريحة ضخمة من العملاء يا سنيورا ، من كل فئات المجتمع تقريبًا ، فبينهم السياسى ، الذى يرغب فى القضاء على منافسه ، على نحو يبدو أشبه بحادث طبيعى ، والمرأة التى تريد قتل زوجها لترثه مبكرًا ، قبل أن يغيّر وصيته ، والشريك الذى يخطط للتخلّص من شريكه ، والانفراد بالعمل ، ولكل منهم مطالبه ، فبعضهم يريد للأمر أن يبدو كحادثة سرقة ، والبعض الآخر لا يعنيه مقدار ما تثيره من ضجة ، ونحن نقضى على الهدف ، حتى ولو استخدمنا قنبلة نووية لهذا ، فى حين قد يرغب عميل ثالث فى أن يرتبط القتل بفضيحة ما مثلاً .. أنتِ تعرفين طبيعة التعامل مع عملاء لهم مشارب وأهواء مختلفة ، عندما تلتزمين بالقاعدة التقليدية .. « العميل دائمًا على حق » ..

أطلّت ضحكة ساخرة من عينيها ، وهى تكرّر عبارته الأخيرة :

ـ العميل دائمًا على حق ؟!

ثم انتقلت تلك الضحكة إلى شفتيها ، فأطلقتها حرة ، قبل أن تميل نحوه ، قائلة :

ـ كل هذا يبدو لى مناسبا للغاية يا (توم) ، ولكن دعنى ألق عليك سؤالا أخيرا :

كم تربحون من هذا العمل سنويًا ؟

انعقد حاجباه ، وهو ينظر إليها بدهشة ، فتراجعت ، ولوحت بكفها ، قائلة :

ـ أعلم أن السؤال غير لائق ، ولكنه يرتبط مباشرة بطبيعة العمل ، الذى طلبت منك الحضور من أجله .

ازداد انعقاد حاجبيه بضع لحظات ، وخفض عينيه ، وكأنه يفكر فى مغزى السؤال ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ فليكن .. صافى أرباحنا لا يقل عن ستة ملايين دولار سنويًا .

مطت شفتيها ، وكأنها لا تقتنع بالمبلغ ، فأضاف بسرعة :

ـ ولكن منظمتنا الصغيرة فى بدايتها ، ومع انتشار سمعتها وتطورها ، قد يرتفع المبلغ إلى عشرة ملايين ، و ...

قاطعته بغتة :

ـ وماذا لو تضاعف المبلغ بضربة واحدة ؟

حدق فى وجهها لحظة فى دهشة ، قبل أن يسأل فى حذر :

ـ ماذا تعنين بالضبط يا سنيورا ؟!

أشعلت سيجارة أخرى ، فى مبسمها الذهبى ، وهى تجيب :

ـ أعنى أننى مستعدة لدفع اثنى عشر مليونا من الدولارات سنويًا ، وعلى نحو منتظم .

سألها فى اهتمام بالغ :

ـ مقابل ماذا ؟

نفثت دخان سيجارتها فى بطء ، وراقبت سحب الدخان لبضع لحظات فى صمت ، قبل أن تلتفت إليه ، قائلة :

ـ مقابل أن تعملوا لحسابى .

هتف فى دهشة :

ـ نعمل لحسابك ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى لهجة قوية ، تشف عن شخصية سلطوية صلبة :

ـ نعم .. أريد منكم أن تنسوا تمامًا أمر منظمتكم الصغيرة ، التى ستنطوى تحت جناح منظمتى ، وتصبح جزءًا منها ، تتلقى الأوامر منى مباشرة ، وتعرض على كل ما يصلها من طلبات العملاء .

انعقد حاجباه فى غضب شديد ، وهو يهبّ من مجلسه ، قائلا فى حدة :

ـ سنيورا .. لقد تجاوزت حدودك ، فلا أحد من شركائى سيقبل هذا العرض ، الذى يمحو منظمتنا ، ليضاعف من قوة منظمتك ، ولن ..

قاطعته فى صرامة :

ـ عشرون مليونا .

قال فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ سأرفع المبلغ إلى عشرين مليون دولار سنويًا .

تردّد لحظة ، قبل أن يقول متوترًا :

ـ ولكننا أنشأنا هذه المنظمة لكى ..

قاطعته مرة أخرى :

ـ وستحتفظون بما تحصلون عليه من العملاء أيضًا .

ارتفع حاجباه فى دهشة حقيقية ، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!

ثم امتزجت دهشته بالحيرة ، وهو يسأل :

ـ ولكن ما الذى تستفيدين منه فى هذه الحالة يا سنيورا .

ابتسمت ، قائلة :

ـ سأوفر لمنظمتى جناحا خاصًا بالاغتيالات ، على أرقى مستوى .

ثم غمزت بعينها ، مستطردة :

ـ وهذا يرفع من قيمة المنظمة بالتأكيد .. أليس كذلك ؟!

جفّ لعابه مع حركتها هذه ، وتطلّع إلى عينيها الجميلتين فى توتر ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

ثم تنحنح فى قوة ، لينفض عن نفسه انفعاله ، وقال :

ـ على أية حال ، سأعرض الأمر على الرجال ، و...

قاطعته فى حزم :

ـ مهلاً .. قبل أن نتمّ صفقتنا هذه ، أحب أن أختبر مهارتكم ، التى تفخرون بها .

ابتسم ، قائلاً :

ـ ألديك هدف ، تسعين للتخلّص منه ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى لهجة خاصة :

ـ ولكنه ليس بالهدف السهل ، وأحذرك لأنه سيحتاج إلى تضافركم جميعًا ، حتى تكون لديكم فرصة للقضاء عليه .

ارتفع حاجبه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ومن هذا السوبرمان ؟!

أجابت ، وهى تلتقط ملفًا ضخما :

ـ إنه واحد من أفضل وأقوى رجال المخابرات فى العالم .. بل ولن أبالغ ، لو قلت : إنه أفضلهم على الإطلاق ، ولقد عجزت منظمات قوية عن التخلص منه فى السابق .

وألقت إليه الملف ، مضيفة :

ـ هذه كل البيانات الخاصة به .. أريد أن تدرسوها بأقصى سرعة ، وبمنتهى الدقة ، بحيث يتم التنفيذ صباح الغد .

هتف فى دهشة وهو يلقى نظرة على الصفحة الأولى للملف :

ـ صباح الغد ؟!.. إنك واهمة بالتأكيد .. هذا الملف يحوى ألف صفحة على الأقل ، ويحتاج إلى أسبوع كامل لقراءته ، فكيف تتوقعين ..

أشارت بيدها ، قائلة فى صرامة :

ـ أظنك أخبرتنى أنكم محترفون ؟!

قال فى غضب :

ـ وهل أخبروك أن المحترفين يتحركون دون تخطيط مسبق ؟!



هتف فى دهشة وهو يلقى نظرة على الصفحة الأولى للملف :

ـ صباح الغد ؟!.. إنك واهمة بالتأكيد ..

انعقد حاجباها لحظة ، وبدا عليها شيء من الحيرة ، يخالف طبيعتها ، التي استشفها منذ حضوره ، ثم لم تلبث أن قالت ، وكأنها تتحدث مع نفسها :

ـ ولكن المعلومات لدينا تشير إلى أنه في طريقه الآن إلى (نيويورك) ، حيث مقر منظمتك ، وهذه فرصة نادرة ، و ...

صمتت لحظة ، وكأنها تفكر في الأمر بعمق ، قبل أن تقول في حزم :

ـ فليكن .. ما أقل فترة تحتاجون إليها لبدء المهمة ؟ علمًا بأنني أريد منكم أن تقوموا بها جميعًا .

قال في دهشة :

ـ نحن العشرة ؟!

أجابته في حزم :

ـ نعم .. أنتم العشرة .

هزّ رأسه في شيء من عدم الاقتناع ، ثم غرق في التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ أربعة أيام .. هذه أقل فترة ممكنة .

قالت في حسم :

ـ فليكن .. سأجد وسيلة لإبقائه في (نيويورك) ، طوال هذه الفترة ، وبعدها أريد منكم أن تنفذوا المهمة

مباشرة .. وتذكّر أنني أكره الفشل .

حمل الملف الضخم ونهض قائلًا :

ـ اتفقنا .. كل شيء سيتم على خير ما يرام .. اطمئني يا سنيورا .. اطمئني .

وعندما غادر المكان ، كان يلقي نظرة سريعة على الاسم الذي يحمله الملف ، والذي بدا له عسير النطق بلغته الأمريكية إلى حد ما ..

اسم (أدهم) ..

(أدهم صبري) .

* * *



٢ - نيويورك ..

أطلقت (جيهان) ، زميلة (أدهم) الجديدة(*) زفرة حارة ، وهى تجلس داخل السيارة الأنيقة ، التى كانت فى انتظارهما فور وصولهما إلى مطار (نيويورك) ، والتى انطلق بها (أدهم) مباشرة إلى المستشفى ، وقالت فى شىء من التوتر ، تتصاعد منه رائحة غيرة واضحة :

- من الواضح أن (منى) ما زالت تحتفظ بجاذبيتها وسحرها ، على الرغم من كل ما أصابها ، فهأنتذا تهرع إليها دون توقُّف ، قبل حتى أن تلتقط أنفاسك ، بعد رحلتنا من (سويسرا) إلى هنا .

لم يعلِّق (أدهم) على عبارتها ، وإن انعقد حاجباه ، وبدا عليه التوتر ، من البطء الشديد ، الذى تشقّ به السيارة طريقها ، وسط شوارع (نيويورك) المزدحمة ، وغمغم :

- يبدو أن رحلتنا من (أوروبا) إلى هنا استغرقت

(*) راجع قصة (الإعصار الأحمر) .. المغامرة رقم (١٠٤) .

وقتًا أقل من ذلك الذى ستستغرقه رحلتنا ، من المطار إلى المستشفى .

مطَّت شفتيها ، قائلة :

- ألا تعلم أن (نيويورك) واحدة من أكثر مدن العالم ازدحامًا (*)

تلفَّت حوله فى قلق ، قائلاً :

- أعلم هذا ، ولكننى أخشى ألا يمهلنا الوقت ..

أدركت ما يشير إليه على الفور ..

إنه يخشى أن تلفظ (منى) أنفاسها الأخيرة ، قبل أن يصل إليها (**) ..

منذ أبلغوه بأنها تحتضر ، وهو لم يكف عن حزنه وتوتره قط ..

وجعلها هذا تدرك كم يحب (منى) ..

كم يعشقها ..

بل ، وربما لن يدهشها أن تجد رائحتها فى أنفاسه ، وابتسامتها فى عينيه ..

أو أن تجدها تحت جلده ..

(*) حقيقة .

(**) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم (١٠٥) .

وهى تعترف بأن الغيرة تملأ نفسها منها ..

صحيح أنها و (منى) زميلتا عمل ، وخريجتا دفعة واحدة ..

ولكنها تغار منها بشدة ..

تغار منها ، حتى وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

ثم إن الموقف كله يثير فى نفسها الكثير من الحنق ، وبعض السخط على (أدهم) نفسه ..

كيف لا يشعر بها أبدًا ؟!..

كيف ينشغل طوال الوقت فى التفكير فى أنثى تحتضر ، متجاهلاً أخرى فاتنة ، تجلس على قيد نصف المتر منه ، وتشاركه كل صراعاته وقتاله ..

كيف ؟!..

وفى أعماقها ، تمنت لو أنه شعر بها يومًا ..

ولو حتى بعد موت (منى) ..

وسرت فى جسدها قشعريرة مضطربة ، عندما بلغت هذه النقطة ..

كيف بلغ بها الأمر هذ الحد ؟!..

كيف أصبحت تتمنى موت زميلة عمرها ، حتى تظفر به ؟!..

ثم من يضمن لها أن تحظى به ، بعد موت (منى) ؟!..

من يضمن لها أنها لن تظل كامنة فى قلبه إلى أبد الدهر ؟!..

أو أن يبقى هو على حبها ، حتى آخر نفس فى صدره ؟!..

وتصاعد السخط فى أعماقها قويًا ، وهى تغمغم :

ـ سيفعل هذا حتمًا .

التفت إليها (أدهم) ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟

انتبهت فجأة إلى أنها نطقت العبارة فى صوت مسموع ، فارتبكت قائلة :

ـ لا شىء .. كنت أتحدث مع نفسى فحسب .

انعقد حاجباه فى توتر ، قائلاً :

ـ لو استمررنا نسير بهذه السرعة ، لن نصل فى الوقت المناسب أبدًا ..

ثم ضغط فرامل السيارة فجأة ، مستطردًا فى حزم :

ـ انتقلى إلى مقعد القيادة .

هتفت فى دهشة :

ـ أنتقل إلى ماذا ؟!

ولم يجبها (أدهم) ..

هذا لأنه لم يعد هناك ..

لقد نطق عبارته ، وفتح باب السيارة ، وانطلق يعدو بكل قوته ..

واتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تهتف :

- هل ستجرى من هنا إلى المستشفى ؟!

لم تكد تلقى السؤال ، حتى أتاها الجواب من أعماقها فى سخط :

- نعم .. سيفعلها .. سيفعلها من أجل (منى) .

وانتقلت بسرعة إلى مقعد القيادة ، متمتمة فى يأس :

- حاولى نسيانه يا (جيهان) .. إنه لن يكون لك أبدًا .

ثم انطلقت بالسيارة ، مقاومة دمعة تقاتل للفرار من مقلتيها ، وهى تستطرد :

- (منى) .. كم أحسدك .

وتخلت عن مقاومتها ..

وتركت دموعها تنحدر ..

أما (أدهم) ، فقد انطلق يعدو عبر شوارع (نيويورك) ، كما لو أنه قد تحول بكيانه كله إلى آلة للعدو ، وأعماقه تصرخ باسم (منى) ، وكيانه كله يذوب من أجلها ..

سيقطع (نيويورك) كلها جريًا ، لو اقتضى الأمر ،

حتى يظفر بلحظة واحدة معها ، قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

بل هو مستعد للجرى حول العالم كله ، لو أن هذا يكفى لإبقائها على قيد الحياة لساعة واحدة زائدة ..

يا إلهى !.. كم يحبها ؟..

وكم يتألم من أجلها !..

كم تمنى يومًا لو أنها أصبحت زوجته ..

وهو يلوم نفسه ألف مرة الآن ، لأنه لم يفعل هذا منذ زمن ..

ثم إنه لا يتصور العالم بدونها ..

لا يتخيل أنه قادر على مواصلة الحياة ، بعد أن تصل هى إلى محطتها الأخيرة ..

وكم يدهشه أن تكون حياتهما معًا حافلة إلى هذا الحد ، ثم ينتهى به الأمر إلى أن يعدو وسط (نيويورك) ، لكى يظفر بلحظة واحدة معها ..

كان يلهث فى شدة ، وقلبه يخفق فى عنف ، إلا أنه لم يتوقف عن العدو لحظة واحدة ..

ثلاثة كيلومترات قطعها جريًا بلا توقف ، حتى بلغ المستشفى ، فاتجه إلى مكتب الاستقبال ، وسأل الممرضة ، وهو يلهث فى قوة :

ـ أين أجد الرئة الصناعية ؟

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ فى هذا الطابق ، فى آخر ممر إلى اليسار ، ولكن الزيارة هناك محظورة ، إلا بتصريح خاص من الـ ..

لم يمهلها لتتم حديثها ، وإنما انطلق يعدو إلى حيث أشارت ، فاندفعت من خلف مكتبها ، صائحة :

ـ قلت لك : إن هذا محظور .. محظور تمامًا .. الأمن .. أين الأمن ؟

انطلق اثنان من موظفى الأمن خلف (أدهم) ، الذى تجاهلهما تمامًا ، وهو يواصل طريقه ، حتى بلغ قاعة الرئة الصناعية ، وهناك استوقفه حارس المكان فى صرامة ، قائلاً :

ـ تصريحك يا سيّدى .

أمسكه (أدهم) من كتفيه فجأة ، فاستطرد فى دهشة :

ـ ماذا ستفعل ؟

ومع صيحته ، حمله (أدهم) من مكانه فى قوة ، وأزاحه جانبًا ، وهو يفتح الباب ، ويدلف إلى المكان فى خطوات سريعة ..

« (أدهم) »؟!

هتف (قدرى) والدكتور (أحمد) بالاسم فى آن واحد ، فاندفع (أدهم) نحوهما فى لهفة ، وهو يسأل :

ـ كيف هى ؟.. هل .... ؟

قاطعه الدكتور (أحمد) بسرعة :

ـ كلاً .. ليس بعد .. لم تحتضر بعد .

وانهمرت الدموع من عينى (قدرى) ، وهو يضيف :

ـ ولكنها فى سبيلها إلى هذا .

اقتحم رجال الأمن المكان ، فى هذه اللحظة ، وهتف أحدهم فى غضب :

ـ أسلوبك هذا يعرّضك للوقوع تحت طائلة القانون أيها السيّد ، ويمكننى الآن أن ..

قاطعه الدكتور (أحمد) ، قائلاً :

ـ لا بأس يا رجل .. أنا الذى طلب منه الحضور .. لا بأس .

انعقد حاجبا الرجل فى غضب ، فى حين تجاهله (أدهم) تمامًا ، واتجه إلى حيث ترقد (منى) ، وقلبه يخفق فى عنف ..

لم يكن يبدو منها سوى رأسها وعنقها ، أما باقى جسدها ، فكان مختفيًا داخل أسطوانة ضخمة ، تشغل ثلثى فراغ المكان تقريبًا ، تقوم معها بنفس الدور ، الذى تقوم به الرئة السليمة فى المعتاد .

وكان وجهها شاحبًا ممتقعًا بشدة ، على نحو خفق له قلبه مشفقًا ، فمال نحوها ، وهو يهمس فى حنان عطوف :

- حبيبتى .. أنا هنا .

كان يشعر بالضيق ، لأن يدها تختفى داخل الرئة الصناعية ، فقد تمنى أن يلتقطها فى راحته ، وأن يحتضنها بأصابعه ، كما اعتاد كلما أتى لزيارتها ، منذ فقدت وعيها ، وسقطت فى هذه الغيبوبة العميقة ، فى معركتها الأخيرة ضد (سونيا جراهام) ، عدوته اللدود ، منذ عدة أشهر(*) ..

وفى توتر شديد ، التفت إلى شقيقه الدكتور (أحمد) ، قائلاً :

- أريد أن أمسك يدها .

خفض (قدرى) عينيه ، وترك لدموعه العنان ، فى حين عدّل الدكتور (أحمد) وضع منظاره الطبى على عينيه ، وهو يغمغم :

- ربما يمكننى تدبر الأمر .

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

واتجه نحو الرئة الصناعية ، وفتح جزءًا منها ، وهو يقول :

- الجهاز لديه استعداد خاص ، لتحرير اليد اليمنى ، بالنسبة للمصابين من رجال الأعمال والبنوك ، الذين يحتاجون إلى التوقيع على بعض الأوراق ، عندما يستعيدون وعيهم ، فى حالات الفشل الرئوى .

قالها وهو ينحنى ، ويجذب يد (منى) فى رفق .

وفى نفس اللحظة ، وصلت (جيهان) ، وهى تقول :

- إذن فقد وصلت قبلى بالفعل .. كنت أتصوّر أن ..

وبترت عبارتها بغتة ، ليرتفع حاجباها فى حنان ، وهى تحدّق فى ذلك المشهد المهيب أمامها ..

كانت (منى) راقدة فى غيبوبتها العميقة ، بوجهها الشاحب الممتقع ، و (أدهم) جالس على إحدى ركبتيه إلى جوارها ، يتطلّع إليها بنظرة لم تر أشد حبًا منها ، فى حياتها كلها ، وهو يلتقط أصابعها الرقيقة فى راحته ، ويضغطها فى رفق ، هامسًا :

- لن أتركك أبدًا يا (منى) ..

اتسعت عيناها ، وارتجفت شفتاها ، وهى تتطلّع إليه ، وأدركت أن الهوة بينها وبينه شاسعة للغاية ، وتكفى لابتلاع محيط بأكمله ..

هوة اسمها الحب ..

حبه لـ (منى) ..

وفى صمت ، انسحبت (جيهان) من المكان ، وألقت جسدها على أقرب مقعد صادفها ، وتركت لدموعها العنان ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

أما الدكتور (أحمد) ، فقد خلع منظاره الطبى ، ومسح دموعه ، وهو يشير إلى (قدرى) ، هامسًا :

ـ فلنتركهما وحدهما .. إنه أحق منّا بلحظاتها الأخيرة .

انصرفا على أطراف أصابعهما ، ودموع (قدرى) تغرق وجهه ، وتفيض أنهارًا ..

ولم يشعر (أدهم) بانصرافهما .. بل لم يشعر حتى بقدوم (جيهان) ..

لقد استغرق بكيانه كله مع (منى) ، حتى لم يعد يشعر بسواها ..

وبكل الحب ، والحزن ، واللوعة فى أعماقه ، مال على أذنها ، هامسًا :

ـ أنا هنا يا حبيبتى .. لن أصدّق أبدًا ما يقولون .. لن تموتى يا (منى) .. بالنسبة لى على الأقل .. فليقولوا ما يشاءون ، وليوقّعوا ألف تقرير وتقرير ،

ولكن هذا لن يغيّر من أمرى وأمرك شيئًا .. ستظلين حيّة بالنسبة لى إلى الأبد .. قلبى سيصبح مثواك الأول والأخير .. لن أنساك أبدًا .. خذيها كلمة منى .. و (أدهم صبرى) لم يحنث بوعد قط .

وصمت لحظة ، ليزدرد لعابه ، ويقاوم دمعة عنيدة ، تصرّ على القفز عبر مقلتيه ، وارتجفت شفتاه ، وهو يقاومها فى عنف ، حتى استسلمت له ، وانحدرت على قلبه ، لتشاركه دموع لوعته ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وتابع :

ـ عزائى الوحيد أننى سأبقى إلى جوارك ، فى لحظاتك الأخيرة يا (منى) .. تلك اللحظات التى لم أتصوّر قط أن تأتى .. كنت أظن دومًا أن نهايتى ستسبق نهايتك .. بل كنت أتمنّى هذا ، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، والرياح لا تأتى دومًا بما تشتهى السفن .. اللّه (سبحانه وتعالى) شاء أن تكونى السابقة .

وعضّ شفتيه فى مرارة ، وهو يستطرد :

ـ كم أتمنى لو بقيت يا (منى) .. كم أتمنى لو عدت إلىّ ، ولو لحظة واحدة .. يا إلهى !.. كم أحبك .. كم أشتاق إليك .. كم ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يخفض عينيه بسرعة إلى يده ، التى تحتضن كفها ..

ففجأة ، وبينما كان يبثها لوعته وحبه ، قبضت (منى) أصابعها ، وعانقت أصابعه فى ضعف ..

وكانت هذه معجزة ..

معجزة بأى مقياس طبى ..

* * *

عقد السفير المصرى فى (واشنطن) رباط عنقه الصغير الأنيق ، وهو يبتسم ، ويقول لزوجته مداعبًا :

ـ كان ينبغى ألا أبدأ فى ارتداء ثيابى ، إلا عندما تبدئين فى وضع لمسات زينتك الأخيرة ، حتى لا أسبقك بأكثر من ساعة واحدة .

عقدت حاجبيها ، قائلة :

ـ إنه حفل رسمى ، هل كنت تفضّل أن أذهب دون زينة ؟!

ضحك قائلاً :

ـ وهل كنت ستفعلين هذا ، لو أننى أفضّله ؟!

ضحكت بدورها ، قائلة :

ـ كلا بالطبع .

اشتركا معًا فى ضحكة مرحة طويلة ، قبل أن تنهض هى ، قائلة :

ـ وعلى أية حال ، لقد سبقتك بالفعل أيها المغرور .. انتهيت من زينتى ، ولم ترتد سترتك بعد .

التقط سترته ، وارتداها بسرعة ، قائلا :

ـ انظرى كم يستغرق ارتداؤها :

ضحكت ، قائلة :

ـ لهذا يتميّز الرجال عن النساء ..

ثم تأبّطت ذراعه ، مستطردة :

ـ هيا بنا ، وسأثبت لك أننى أفضل زوجة سفير ، فى العالم أجمع .

تبادلا بعض الدعابات ، وهما يغادران مبنى السفارة ، وأسرع السائق يفتح لهما باب السيارة ، فى حين اتخذ طاقم الحراسة السيارة الثانية ، وانطلق خلف سيارة السفير مباشرة ..

وخلف السيارتين ، انطلقت سيارة أخرى مجهولة الهوية ..

سيارة راحت تتبع السيارتين فى إصرار ، حتى أن أحد أفراد طاقم الحراسة قال لزملائه الثلاثة فى قلق :

ـ هذه السيارة تطاردنا فى إلحاح .

تطلّع زملاؤه إلى السيارة بدورهم ، ثم قال أحدهم :

ـ دعنا نوصل سعادة السفير إلى مقر السفارة

الروسية أولًا ، ثم نتولى أمرها .

قال الأول فى صرامة :

- وماذا لو أنها تنوى الهجوم قبل هذا ؟

جذب زميله إبرة مسدسه الآلى ، وهو يجيب فى حزم :

- أعتقد أننا نراقبها جيدًا .. أليس كذلك ؟

تعلقت أعينهم بتلك السيارة المطاردة ، وكل منهم متحفز للقتال ، و ...

وفجأة ، انحرفت سيارة أخرى عن الطريق ، واندفعت بين سيارتهم وسيارة السفير ، فضغط سائق سيارتهم فراملها بكل قوته ، هاتفًا :

- ربّاه !.. يبدو أنها ..

وقبل أن يتم عبارته ، حدث الاصطدام ..

اصطدمت سيارتهم بالسيارة الأخرى فى عنف ، فصاح أحدهم :

- احترسوا .. إنها خدعة .

ولم يكد يتمّ صيحته ، حتى جاء الهجوم الشامل بغتة ..

عشرة رجال اندفعو نحو سيارة طاقم الحراسة ، وأمطروها بسيل من الرصاصات ، من مدافعهم الآلية ، فصرخت زوجة السفير فى رعب ، وصاح هو :

- رباه !.. إنها محاولة اغتيال .

ضغط السائق دواسة الوقود فى سيارته ، محاولا الفرار بأقصى سرعة ، ولكنه اصطدم بسيارة أمامه ، وأخرى إلى جواره ، قبل أن ينقضّ خمسة رجال آخرون عليها ويطلق أحدهم النار عليه ، فيرديه قتيلا بلا رحمة ..

وصرخت زوجة السفير مرة أخرى :

- سيقتلوننا .. سيقتلوننا .

وحاول السفير احتواءها بين ذراعيه ، إلا أن أحد الرجال الخمسة فتح باب السيارة ، وانتزعه من مقعده فى عنف ، وهو يقول ساخرًا :

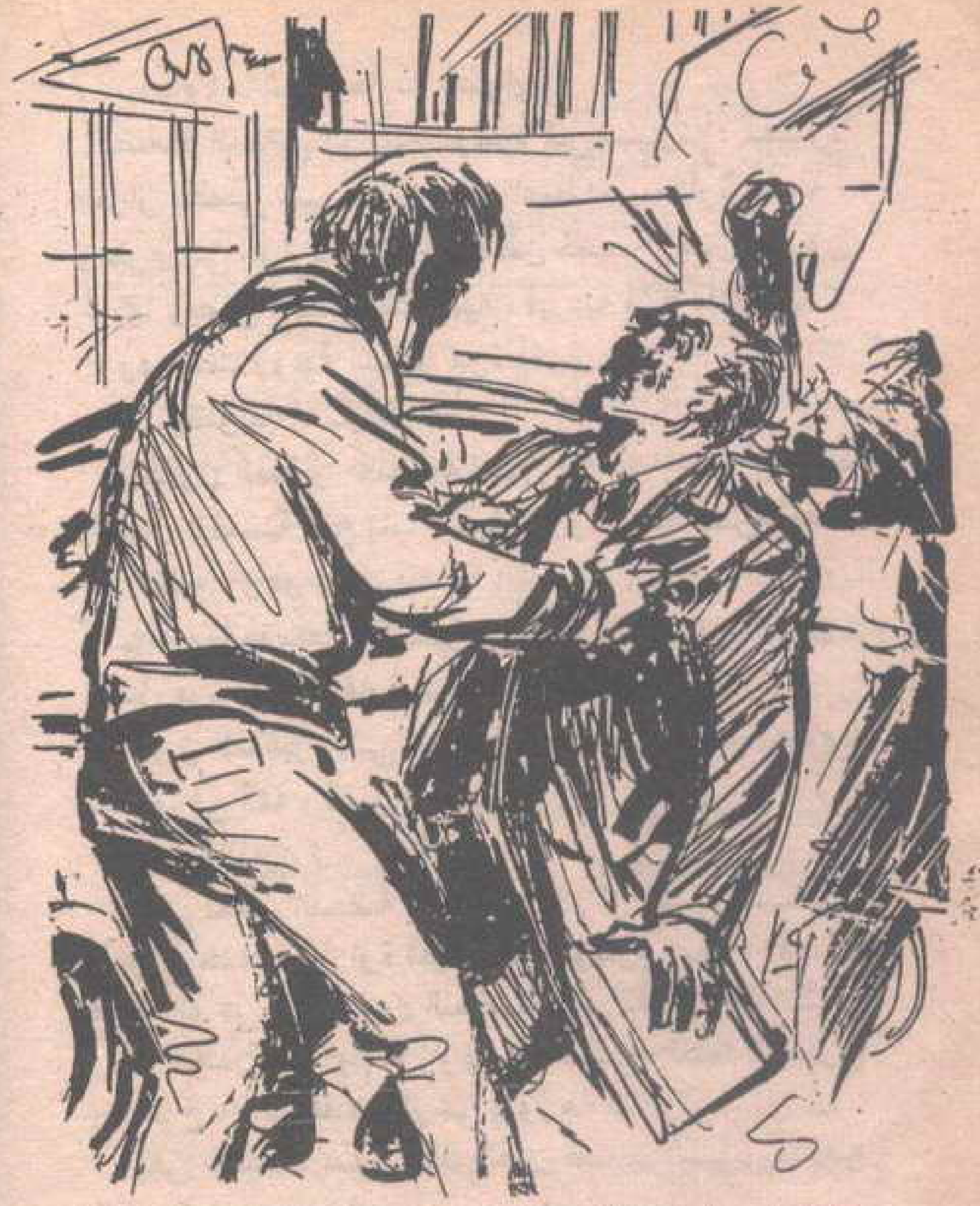
- مرحبًا يا سعادة السفير .. عندنا لك حفل خاص ، أفضل من حفل السفارة الروسية .

هوى السفير على معدته بلكمة قوية ، ثم أعقبها بأخرى فى فكه ، فصرخ الرجل :

- أيها اللعين !

وفى نفس اللحظة ، انقضّ آخران على السفير ، وهوى أحدهما بهراوة ثقيلة على مؤخرة عنقه ، فسقط فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة التى دفع فيها الثانى رذاذًا مخدرًا فى وجه زوجته ، التى راحت تصرخ وتصرخ ، حتى فقدت الوعى بدورها ..

وفى غضب ، صوّب ذلك الذى ضرب السفير مدفعه الآلى إليه ، صارخا :



إلا أن أحد الرجال الخمسة فتح باب السيارة ، وانتزعه ، من مقعده فى عنف ..

- سأقتله .. سأقتل ذلك اللعين .

ولكن زميله أزاح مدفعه فى قوة ، وهو يقول له فى صرامة :

- إياك أن تفعل .. التعليمات تؤكد ضرورة وصول البضائع سالمة .

ثم انحنى مع زميل له ، يحملان جسد السفير ، فى حين حمل ثالث جسد زوجته ، أمام عيون المارة ، الذين اختبأوا فى كل ركن ، دون أن يبذل أحدهم أقل جهد للاتصال بالشرطة ، أو الاستغاثة بآخر ، ولم تمض لحظات ، حتى كان الرجال الخمسة عشر قد اختفوا داخل مبنى قريب ، واستقلوا مصعديه إلى السطح ، وهناك تطلع قائدهم إلى ساعته ، قائلا :

- المفروض أن تصل الآن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز مروحة هليوكوبتر كبيرة ، اتجهت إليهم مباشرة ، وهبطت فوق سطح المبنى ، فانتقلوا جميعهم إليها ، مع السفير وزوجته الفاقدى الوعى ، وبعدها ارتفعت الهليوكوبتر ، وانطلقت مبتعدة ، لتختفى وسط الظلام ، فى نفس اللحظة التى بدت فيها سيارات الشرطة من بعيد ..

وكان هذا يعنى أن العملية قد انتهت .. وبنجاح .

* * *

٢ - المعجزة ..

التف فريق الأطباء حول جهاز الرئة الصناعية ، وهم يفحصون (منى) فى اهتمام بالغ ، فى حين خلع الدكتور (أحمد) منظاره الطبى ، وهز رأسه فى حيرة ، قائلا :

- لست أدرى كيف يمكن أن يحدث هذا يا (أدهم) ؛ فعلميًا يستحيل أن تقبض (منى) أصابعها ، قبل أن تستعيد وعيها ، إلا لو كان هذا مجرد انقباض سلبى للعضلات .

وتدخل طبيب أمريكى ، قائلا :

- ولقد انتهت حالة الانقباض هذه ، وعادت أصابعها لارتخائها الطبيعى ، فى مثل هذه الحالة .. انظر .

ووضع يده فى يد (منى) ، مستطردًا :

- إنها حتى لم تحاول إمساك يدى ، وهذا أمر طبيعى ، بالنسبة للغارق فى غيبوبة عميقة مثلها .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول للطبيب الأمريكى :

- ابتعد .

قال الطبيب فى دهشة :

- ماذا تقول ؟

كرر (أدهم) فى صرامة شديدة :

- ابتعد .

تراجع الطبيب فى حركة غريزية سريعة ، وهو يحدق فى وجهه بمزيج من الدهشة والذعر ، فتنحنح الدكتور (أحمد) ، قائلا :

- (أدهم) .. تمالك نفسك يا أخى .. الموقف لا ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة مماثلة :

- انتظر .

وتابعته (جيهان) ببصرها فى حيرة ، وهو يتجه إلى (منى) ، ويمسك كفها فى رفق ، ثم ينحنى ليهمس فى أذنها بحب وحنان :

- إنه أنا يا حبيبتى .

لم يكد ينطقها ، حتى اتسعت عيون الجميع فى ذهول ، عندما انقبضت أصابع (منى) فى بطء ، لتحتضن يده ، وتتشبث بها فى ضعف ..

وفى حماس ، تفجرت دموع (قدرى) ، وهو يهتف :

- أرأيتم .. إنها تتعرفه ، وتستجيب إليه .. راجعوا علومكم الفاسدة أيها السادة ، قبل أن تحكموا على ملاك مثلها بالموت .

أما الدكتور (أحمد) ، فهتف :

- مستحيل !.. إنها .. إنها معجزة !

ثم اندفع إلى (منى) ، وهو يستطرد فى حماس ، متحدثًا مع الفريق الطبى :

- هيا أيها السادة ، سنعاود فحص مريضتنا بقواعد أخرى .. هيا .

أفلت (أدهم) يد (منى) ، وتراجع فى صمت ، ليفسح المجال أمام فريق الأطباء ، الذى راح يعمل فى حماس ، واكتفى بمراقبتهم فى اهتمام ، ولم يشعر إلا و (جيهان) تهمس فى أذنه ، فى صوت يفيض بالانفعال :

- أهنئك .

التفت إليها فى صمت ، فتابعت فى خفوت :

- دعنى أعترف لك .. لقد كنت أغار منها ، منذ اللحظة التى التقيت بك فيها ، أما الآن ، فلم أعد أحمل لها سوى التعاطف والإشفاق .

سألها :

- حقًا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، ثم أشاحت بوجهها ، لتخفى ترقرق الدمع فى عينيها ، وهى تجيب :

- نعم .. حقًا ؟!

ثم اندفعت تغادر الحجرة كلها ، قبل أن تغلبها دموعها ..

(قدرى) وحده ترك لدموعه العنان ، وهو يقول :

- كنت أعلم أنها ستنجو .. كنت أعلم .

ربت (أدهم) على كتفه ، مغمغمًا :

- فلندع الله أن تكتمل المعجزة ، وتعود إلينا (منى) .

هتف (قدرى) فى حرارة :

- استجب لدعائى يا إلهى !.. أرجوك .

وعاد إلى بكائه الحار ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها رجل عند الباب ، وهو يقول بالعربية :

- سيادة العميد (أدهم) .. حمدًا لله أننى وجدتك .. لقد أخبرونى أننى سأجدك هنا على الأرجح .

التفت (أدهم) إليه ، وقال فى دهشة :

- (ناشد) ؟!.. ما الذى أتى بك ؟

أجابه مندوب المخابرات المصرية فى (نيويورك) :

- برقية سرية عاجلة من (القاهرة) يا سيادة العميد .. يريدون منك أن تتحدث إليهم على الفور .

ألقى (أدهم) نظرة على (منى) ، ثم أمسك الرجل

من ذراعه ، وقاده إلى خارج حجرة الرنة الصناعية ، وهو يسأله :
- ماذا حدث ؟
أجابه (ناشد) فى انفعال :
- لقد اختطفوا السفير المصرى فى (واشنطن) .
هتف (أدهم) :
- خطفوا السفير ؟!.. ومن ارتكب هذا الفعل الحقير ؟
أجابه الرجل بسرعة :
- منظمة تجسسية جديدة ، قامت بعملية فى وسط الشارع ، واختطفته ، بعد أن قتلت طاقم حراسته وسائق سيارته ، وتركت خلفها حلية من الذهب .
تساءل (أدهم) :
- حلية من الذهب ؟!
أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :
- نعم .. حلية بشكل أفعى .
وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ..
لقد فجرت تلك الحلية فى أعماقه ذكرى بغيضة .. وعنيفة ..

* * *

« ..(سونيا جراهام) .. » .

نطق مدير المخابرات المصرية الاسم فى تحفظ ، عبر الهاتف المؤمّن الخاص ، الذى يستخدمه فى حديثه مع (أدهم) عبر المحيط ، فقال هذا الأخير فى توتر :
- الفكرة نفسها قفزت إلى ذهنى يا سيّدى ، فالتشابه مذهل بين هذه المنظمة الجديدة ، ومنظمة (سناك) القديمة ، التى أنشأتها (سونيا)(*) ، والتى تم تدميرها عن بكرة أبيها(**) ، فكل منهما تتزعمها سيّدة ، وتتخذ من الأفعى شعارًا ، ومن التجسس الحر هدفًا ، ولكن (سونيا) لقيت مصرعها مع ابنى ، عندما انفجر وكر المنظمة ، فكيف يمكن أن تعود إلى الحياة ؟!
قال المدير :
- لا أحد يعود إلى الحياة بعد موته يا (أدهم) ، إلا بإرادة الله (سبحانه وتعالى) .
ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :
- ولكن هناك تفسير آخر .
سأله (أدهم) فى لهفة واضحة :
- أن يكون أحدهم قد صنع هذا التشابه الواضح

(*) راجع قصة (الصقر الأعمى) .. المغامرة رقم (٩٧) .
(**) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

عمدا ، لجذب أنظارنا إلى قضية فرعية ، وإبعادنا عن القضية الرئيسية ، تماما مثلما تفعل فى لعبة الشطرنج ، عندما تضع حصانك صيدا سهلا أمام خصمك ، لتشغله عن خطتك الأساسية لقتل وزيره .

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ احتمال قوى يا سيدى .

قال المدير :

ـ لذا فسنتجاهل تلك القضية الفرعية ، ونمضى قدما فى خطتنا الرئيسية يا (ن ـ ١) .

واكتسى صوته بصرامة شديدة ، وهو يضيف :

ـ سنسعى لاستعادة سفيرنا .. وبأى ثمن .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ اطمئن يا سيدى .. سنبذل قصارى جهدنا .

وأنهى الاتصال ، ثم جلس لحظات يفكر فى عمق ، قبل أن ينهض من مقعده ، ويغادر الحجرة إلى الردهة ، التى جلست فيها (جيهان) التى لم تكد تلمحه ، حتى سألته فى اهتمام :

ـ لماذا استغرقت المحادثة كل هذا الوقت ؟

أجابها فى حزم :

ـ إنها محادثة عمل .

هتفت ساخرة :

ـ آه .. معذرة أيها الرئيس .. نسيت أنك تحمل رتبة عميد ، وأنك القائد هنا ، أما أنا فمجرد مساعدة بسيطة .

رمقها بنظرة ضيق ، وتفادى الدخول معها فى مناظرة كلامية ، وهو يقول :

ـ هل راجعت تفاصيل الحادث جيدا ؟

أومأت برأسها إيجابا ، وقالت :

ـ نعم ، وعثرت فيها على بضع نقاط تثير الاهتمام .

اتخذ مجلسه أمامها ، وهو يسألها فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟

اعتدلت مجيبة فى جدية :

ـ الخطة نفسها عشوائية وعنيفة أكثر مما ينبغى ، وكأن منفذيها لم يكن لديهم الوقت الكافى للتخطيط الجيد ، ثم إن الشهود أكدوا أن عدد المشاركين فى التنفيذ يتراوح بين الخمسة عشر والعشرين ، وهذا عدد ضخم للغاية ، فلو تم تنفيذ العملية بوساطة محترفين ، لما احتاج الأمر لأكثر من خمسة أشخاص ، وهذا يثير الحيرة ، فلماذا تلجأ منظمة تجسسية محترفة إلى عدد من الهواه ، لتنفيذ عملية ذات انعكاس سياسى كهذه ؟!

أشار بسبابته ، قائلا :

- هذه النقطة بالذات تثير اهتمامى بشدة ، وتبدو لى غامضة إلى حد كبير .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- وربما كان فيها تفسير الموقف كله .

قالت (جيهان) فى اهتمام :

- هناك نقاط أخرى تثير الانتباه ، فوصف الهليوكوبتر ، التى استخدمت لنقل السفير وزوجته ، ينطبق بشدة على نوع أو اثنين من طائرات الهليوكوبتر الحربية ، ولا يمكن الحصول على شىء كهذا إلا عن طريق أحد رجال الجيش ، وخاصة فى عاصمة مثل (واشنطن) ، حيث يتم تقييد الطيران الحر بمجالات محدودة ، لحماية البيت الأبيض(*) والمؤسسات السياسية الأخرى .

(*) البيت الأبيض : المقر الرسمى لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى (واشنطن) ، وضع أساسه وقام بتصميمه (جيمس هوبان) عام ١٧٩٢ م ، واختار موقعه (جورج واشنطن) بنفسه ، وكان (جون آدمز) أول رئيس يقيم به عام ١٨٠٠ م ، ولقد اكتسب اسمه من لون طلائه الأبيض ، بعد أن حرقه الانجليز عام ١٨١٤ م .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدرس كل ما سمعه منها فى عمق ..

وعلى الرغم منه ، انحرف تفكيره إلى نقطة أخرى ، احتلت عقله ، وراحت تجاهد ؛ لتربط نفسها بكل الأحداث ..

نقطة تحمل اسمًا محدودًا ..

(سونيا جراهام) ..

* * *

أطلقت زعيمة المنظمة الجميلة ، المعروفة باسم (السنيورا) ، ضحكة عالية ، تجمع ما بين الزهو والسخرية والشماتة ، وهى ترقد إلى جوار حوض السباحة ، فى قصرها المنيف فى (المكسيك) ، قبل أن تقول لمساعدتها الأولى :

- خطتى متقنة بالطبع يا عزيزتى ، فلو أنك فى موضع المخابرات المصرية ، وتم اختطاف السفير المصرى فى (واشنطن) ، فى أثناء وجود أفضل رجل مخابرات لديك فى (نيويورك) ، فلمن تسندين المهمة ؟

ابتسمت مساعدتها ، مجيبة :

- لـ (أدهم صبرى) بالطبع .

ضحكت السنيورا مرة أخرى ، والتقطت كأسها ، قائلة :

ـ وهكذا ينشغل (أدهم صبرى) بقضية السفير ، ويظلّ داخل حدود الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى يستعد (توماس) وفريقه ، وتبدأ اللعبة الحقيقية .

سألتها مساعدتها فى اهتمام :

ـ وماذا عن السفير نفسه ؟.. هل سنطالب بفدية لإعادته ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ كلا .. سنبقيه لدينا بضعة أيام فحسب .

وارتشفت رشفة من كأسها ، قبل أن تستطرد :

ـ اختطاف السفراء لعبة سخيفة ، لا تليق بالمحترفين مثلنا ، ولقد دفعت لهؤلاء الهواة الذين استأجرناهم أجرًا باهظًا ، مقابل هذه العملية التافهة ، ومنعتهم تمامًا من طلب أية فدية مقابل إعادته .

سألتها مساعدتها فى حيرة :

ـ ولكن لماذا ؟.. ما داموا قد اختطفوا السفير ، ولم يقتلوه مع طاقم الحراسة والسائق ، فلابد أن لهم مطالب محدودة .. فدية مثلاً ، أو إفراجًا عن بعض المعتقلين ، أو إصدار بيان سياسى ..

ضحكت السنيورا ، قائلة :

ـ هذا بالضبط ما سيفكّر فيه وينتظره رجال المخابرات

المصرية ، ومن المؤكّد أنهم سيرتبكون كثيرًا ، عندما يمضى الوقت ، دون أن يتقدّم المختطفون بأية مطالب .

وغمزت بعينها لمساعدتها ، مستطردة :

ـ والوقت هو كل ما نحتاج إليه ، لبدء العملية الأساسية .

وانعقد حاجباها بغتة ، واكتست ملامحها ببغض شديد ، وهى تضيف :

ـ عملية تصفية (أدهم صبرى) .

تطلّعت إليها مساعدتها لحظة فى حيرة ، قبل أن تسألها فى حذر :

ـ أخبرينى يا سنيورا .. لماذا أنفقت كل هذا للقضاء على (أدهم صبرى) ؟ .. لماذا تبغضينه إلى هذا الحد ؟

أجابتها فى حدة :

ـ لقد أفسد عمليتنا الأولى فى (سويسرا) .

قالت المساعدة فى سرعة :

ـ فقط ؟

التفتت إليها فى شراسة ، وهى تقول :

ـ ماذا تعنين بكلمة (فقط) هذه ؟!

تراجعت المساعدة ، وانكمشت بسرعة ، وهى تجيب :

ـ معذرة يا سنيورا .. لم أكن أعنى شيئًا بالتحديد ..

فقط تصورت أنك تحملين له بغضًا شديدًا ، يفوق الغضب الطبيعى ، تجاه شخص أفسد عمليتنا الأولى .. لقد بدا لى وكأن .. وكأن ..

ترددت بشدة ، فقالت لها فى حدة :

ـ وكأن ماذا ؟

ازدادت المساعدة انكماشًا ، وهى تغمغم :

ـ وكأن الأمر يحمل ثأرًا شخصيًا .

انعقد حاجبا السنيورا فى شدة ، حتى خُيِّل للمساعدة أنها ستطلق عليها النار ، أو تنقضّ على عنقها ، فتعتصره حتى الموت ، فاضطربت ، وارتبكت ، وازداد انكماشها أكثر وأكثر ، وشحب وجهها وامتقع ، وجفّ حلقها ، واختنق صوتها ، وهى تقول :

ـ سنيورا .. أقسم إننى لم أقصد أن ..

قاطعتها السنيورا فى صرامة :

ـ أعترف أننى أبغض (أدهم صبرى) كل البغض .

بهتت المساعدة أمام هذا الاعتراف الصريح ، فحدّقت فى السنيورا بدهشة ، وهذه الأخيرة تضيف :

ـ على الرغم من أننى لم ألتق به سوى مرة واحدة ، فى حياتى كلها .

هتفت المساعدة فى دهشة :

ـ مرة واحدة ؟!..

أجابتها السنيورا فى حدة :

ـ نعم .. مرة واحدة ، ولكنها تكفى لأبغضه حتى آخر يوم فى حياتى كلها .

ران عليهما صمت طويل ، بعد أن نطقت عبارتها ، ولم تحرّك أىٌّ منهما ساكنًا ، حتى لقد بدا المشهد أشبه بصورة ثابتة على شاشة عرض سينمائية ، قبل أن تستعيد السنيورا ابتسامتها الساخرة بسرعة مدهشة ، وترتشف رشفة أخرى من كأسها ، ثم تقول فى شىء من المرح :

ـ كم أتمنى رؤية وجه عزيزنا (أدهم صبرى) الآن ، وهو يضرب أخماسًا فى أسداس ، محاولاً معرفة السبب الفعلى لاختطاف السفير .

ورفعت كأسها ، مستطردة فى سخرية :

ـ نخب أوّل فشل فى حياة (أدهم صبرى) .

وانطلقت ضحكتها عالية مجلجلة ..

وظافرة ..

* * *

توقّفت سيارة رسمية ، تحمل شعار القوات الجوية الأمريكية ، أمام منزل الجنرال طيّار (رالف أيدن) ،

وهبط منها هذا الأخير ، وهو يقول للسائق فى صرامة عسكرية :

- السابعة تمامًا غدًا يا (جورج) .. سأخصم يومًا كاملًا من راتبك ، لو وصلت فى السابعة ودقيقة .. هل تفهم ؟

غمغم السائق فى احترام :

- أفهم يا جنرال .. ستجدنى قبل السابعة .. أرجو أن تبلغ تحياتى للسيّدة (أيدن) .

مطّ الجنرال شفتيه ، وقال :

- السيّدة (أيدن) والصغار فى (فلوريدا) ، لزيارة خالتهم ، وسيعودون مع بداية الأسبوع المقبل .

قال السائق :

- أتمنى لهم رحلة سعيدة يا جنرال .

لوّح الجنرال (رالف) بيده ، قائلًا :

- أشكرك يا (جورج) .. هيا .. انصرف ، وسأنتظرك فى السابعة .

انطلق السائق مبتعدًا ، فى حين شدّ الجنرال قامته ، بحركة عسكريّة روتينية ، ثم تقدّم نحو منزله ، وفتح بابه ليدلف إليه ، ثم أغلقه خلفه ، وامتدّت يده لتضىء الأنوار ، و ...

« لا داعى .. إننى أفضّل الظلام .. » ..

استدار الجنرال إلى مصدر الصوت فى حدة ، وقفزت يده نحو مسدسه بحركة غريزية ، إلا أن (أدهم) انقضّ عليه كالصاعقة ، فأمسك معصمه ، ولواه فى عنف ، ليجبره على إفلات مسدسه ، قبل أن يدفع يده اليسرى فى ظهره ، ويضرب وجهه بالحائط ، وهو يقول فى لهجة صارمة مخيفة :

- إياك يا جنرال .. كلمة واحدة زائدة ، وأحطّم رأسك كبيضة فاسدة .

دفع الجنرال قدمه إلى الخلف فى قوة ، ليضرب ساق (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير أزاح ساقه فى سرعة ، ثم ركل الجنرال فى قدمه ركلة عنيفة ، جعلته يطلق صرخة ألم ، كتمها (أدهم) بيده ، وهو يقول :

- هيا .. حاول مرة أخرى ، ولن تجد فرصة بعدها للقيام بمحاولة ثالثة .

هتف الجنرال ، وهو يلهث فى انفعال :

- من أنت ؟.. وماذا تريد منى ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- جوابًا لسؤال بسيط يا جنرال .. لماذا أرسلت طائرة لالتقاط المختطفين ، بعد انتهاء عملية السفير المصرى ؟!

من طلب منك أن تفعل هذا ؟

هتف الجنرال :

ـ لم أرسل أية طائرات ؟.. من أخبرك أننى على علاقة بهؤلاء المختطفين ؟

ضرب (أدهم) وجهه بالحائط ثانية ، وهو يكرّر فى صرامة أشدّ :

ـ من يا جنرال ؟

تفجّرت الدماء من أنف الجنرال ، الذى سعل فى قوة ، وهو يهتف :

ـ أيها الـ ..

جاءت الضربة الثالثة لتخرسه تمامًا ، وتحطّم ما تبقّى من أنفه ، فهتف فى ألم :

ـ هناك خطأ ما حتمًا .. أنت تقصد شخصًا آخر بالتأكيد .

أجابه (أدهم) ، وهو يلوى ذراعه بقسوة أكثر :

ـ كلاّ يا جنرال .. أنت المقصود بالتحديد ، فأنت المسئول الأوّل عن طلعات الهليوكوبتر الحربية ، ولقد خرجت تلك الهليوكوبتر ، التى التقطت المختطفين ، بناء على أمر مباشر منك ، ضمن برنامج التدريب الرسمى .. كل ما حدث هو أنها غيّرت مسارها ، وبدلاً

من الاتجاه غربًا اتجهت شرقًا ، والتقطت المختطفين ، ثم حملتهم إلى حيث يختفون ، وأكملت برنامج التدريب ، وكأن شيئًا لم يكن .

هتف الجنرال :

ـ لا يمكنك إثبات هذا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا تطوّر جيّد للغاية ، فقد انتقلت من لغة الرفض والإنكار إلى أننا لن نستطيع إثبات هذا .. قل لى يا جنرال : ألا يبدو لك هذا أشبه باعتراف صريح .

صاح الجنرال مذعورًا :

ـ أى اعتراف ؟!.. أنا لم أقل شيئًا .. برنامج التدريب رسمى ، ويتم القيام به كل ثلاثة أيام ، وخطوط السير كلها مدوّنة ، ولن يمكنك أبدًا إثبات أن الهليوكوبتر قد غيّرت مسارها ، أو قامت بأى عمل ، يخالف مهمتها الرسمية .

انتزع (أدهم) مسدسه ، وألصقه بعنقه ، قائلاً :

ـ لست هنا بصدد البحث عن إثباتات أو أدلّة .. كل ما أريد معرفته هو من أمرك بهذا ؟

أجابه الجنرال ، وقد تضاعفت سرعة لهاثه المضطرب :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى لو فعلت .
قال (أدهم) فى صرامة :
ـ وأنا سأقتلك لو لم تفعل .
هزّ الجنرال رأسه فى عنف ، قائلا :
ـ لا يمكننى هذا .. لا يمكننى أبدًا .. ستقتلنى السنيورا حتما لو فعلت .
اتسعت عينا (أدهم) ، وهو يهتف :
ـ السنيورا ؟!
ثم أداره إليه فى حركة عنيفة ، وضرب ظهره فى الجدار بقوة ، وهو يلصق فوهة مسدسه بعنقه ، أسفل ذقنه تمامًا ، ويسأله فى حدة :
ـ من هذه السنيورا ؟!.. أهى زعيمة منظمة (الأفعى) ؟
أجابه الجنرال ، والدماء تغمر وجهه :
ـ نعم .. نعم . إنها الزعيمة .. أنت لا تدرك كم هى قاسية عنيفة .. إنها لا ترحم قط من يخونها ، كما أنها تدفع بسخاء للمخلصين .. صدقنى .. إننى أفضّل أن تطلق علىّ خزانة رصاصاتك كلها ، على أن أبلغك شيئًا من أمرها .
انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى عينى

الجنرال مباشرة ، فى محاولة لأن يستشف شيئا مما يدور فى أعماقه ..
كان من الواضح أن الرجل خائف ومذعور بحق .. وأن تلك الأفعى تسيطر عليه حتى النخاع ..
وفى صرامة ، سأله (أدهم) :
ـ هل رأيتها ؟!
مسح الجنرال خيط الدم ، الذى يسيل من أنفه المحطّم ، وهو يقول :
ـ رأيت من ؟!
هزّه (أدهم) فى قوة ، قائلاً :
ـ السنيورا .. هل رأيتها ؟.. هل التقيت بها وجهًا لوجه ؟
أجاب الجنرال فى ألم :
ـ نعم .. نعم .. مرة واحدة فحسب .. أقسم لك .. لم أرها سوى مرة واحدة فحسب .
انتزع (أدهم) من جيبه صورة لـ (سونيا جراهام) وضعها أمام وجهه ، قائلا :
ـ أتشبه هذه المرأة ؟
تطلّع الجنرال إلى الصورة فى توتر ، قائلاً :
ـ لا يمكننى الرؤية جيدًا .. الإضاءة ضعيفة ، و ..

جذبه (أدهم) إلى جوار النافذة ، التى يتسلل عبرها ضوء مصابيح الشارع ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ هل تراها جيدًا ؟!.. هل تشبه السنيورا ؟

ازدرد الجنرال لعابه فى صعوبة ، وقال :

ـ الواقع أنها ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عيناه فى ألم مذعور ، فى نفس اللحظة التى تحطّم فيها زجاج النافذة خلفه مباشرة ، ثم ..

ثم سقط جثة هامدة ، بين ذراعى (أدهم) ..

وكان هذا يعنى أن الأفعى لا تدخر وسعًا للفوز هذه المرة ..

وبأى ثمن .

* * *



ثم سقط جثة هامدة ، بين ذراعى (أدهم) !..

وكان هذا يعنى أن الأفعى لا تدخر وسعًا للفوز هذه المرة ..

٤ ـ خطوة بخطوة ..

ارتسمت ابتسامة واسعة ، تفيض بالارتياح ، على شفتى الدكتور (أحمد صبرى) ، وهو يعدل منظاره الطبى فوق أنفه ، قائلا لـ (قدرى) :

ـ يبدو أن (أدهم) و (منى) لن يتوقفا عن إبهارى دوما يا (قدرى) .. لقد حطمت (منى) كل القواعد الطبية المعترف بها ، وأصابت فريقا من أفضل أطباء الولايات المتحدة الأمريكية بدهشة عارمة ، جعلتهم يراجعون كل ما تعلموه منذ حداثتهم ، فى محاولة لفهم ما حدث .

مسح (قدرى) دموعه ، وهو يبتسم فى حنان ، قائلا :

ـ لقد استجاب الله (سبحانه وتعالى) لدعائى .

أشار إليه الدكتور (أحمد صبرى) وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، فلا يوجد أى تفسير علمى لما حدث .. التفسير الوحيد الذى نؤمن به ، أنت وأنا ، والذى لن يقتنع به الأمريكيون قط ، هو أنها معجزة إلهية، وأن الله (سبحانه وتعالى) يؤكد لنا أن الأعمار بيده وحده

سبحانه ، وأنه ما من براعة طبية يمكنها أن تتجاوز هذه القاعدة .

وتنهد مرة أخرى فى ارتياح ، مستطردا :

ـ أنظر ماذا حدث !.. الكل أجمعوا على أن (منى) تحتضر ، وتلفظ أنفاسها الأخيرة ، بل وتشككوا فى قدرتها على البقاء ، حتى يصل (أدهم) من (سويسرا) ، ثم فجأة ، يأتى (أدهم) ، ويهمس فى أذنها ببضع كلمات ، وهو يحتضن كفها فى حنان ، فينشط جهازها المناعى فجأة ، وتستيقظ الخلايا الرمادية المنهكة فى مخها ، وتعود أجهزتها الحيوية للعمل ، حتى أنها لا تحتاج للبقاء داخل جهاز الرئة الصناعية ، وتعود إلى حجرة الرعاية الفائقة .. بل ويؤكد الزملاء أنه لو استمر التقدم على هذا المنوال ، فمن المحتمل جدا أن تستعيد وعيها ، خلال شهر واحد على الأكثر .

تهدج صوت (قدرى) وهو يقول :

ـ حمدا لله .. حمدا لله .

أومأ الدكتور (أحمد) برأسه إيجابا ، وكأنه يؤيده ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ ولكن أين (أدهم) ؟.. كيف يمكنه أن يترك (منى)

فى هذه المرحلة ؟.. إنه صاحب الفضل ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فى اجتيازها لتلك المرحلة البالغة الحساسية من غيبوبتها ، ثم إنه لا يحب سواها ، فكيف لا يكون هنا ، ويشاهد بنفسه لحظة الانتصار المرحلى هذه ؟!

أجابه (قدرى) فى حزم :

ـ لا يمكن أن يتخلى (أدهم) عن حبه لـ (منى) قط يا دكتور (أحمد) ، ولا يمكنه أن يبتعد عنها ، إلا من أجل حبه الأول ..

سأله الدكتور (أحمد) فى دهشة :

ـ حبه الأول ؟!

أومأ (قدرى) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول فى حسم :

ـ نعم .. حبه الأول .

وارتفع رأسه فى حزم ، وهو يضيف بصوت متهدج :

ـ (مصر) .

وكان فى هذا القول الكفاية ..

* * *

أطلق القاتل رصاصته ، من بندقيته المزودة بمنظار مقرب وكاتم للصوت ، وأصاب مؤخرة عنق الجنرال

تماما ، ثم قفز من مكانه ، وانطلق يعدو بكل قوته ، حتى يمكنه الفرار ، قبل أن يلحق به (أدهم) ، ووثب عبر سور منزل آخر ، ثم انطلق عبر الحديقة ، و ...

وفجأة ، برزت (جيهان) أمامه ، وهى تقول فى سخرية :

ـ ليس بهذه السرعة أيها الوغد .

ومع قولها ، هوت قبضتها على وجهه بلكمة قوية ، أسقطته على ظهره فى عنف ، فصرخ فى غضب ، وهو يصوب إليها بندقيته :

ـ أيتها الحقيرة .

ركلت البندقية من يده بضربة سريعة ، وهى تقول :

ـ يا لك من وقح !.. أهكذا تخاطب فتاة محترمة مثلى .

هب واقفا على قدميه ، ولوح بقبضتيه ، هاتفا :

ـ سأسحقك أيتها اللعينة !.. ما من أحد يفعل هذا معى .

قالها ، وهوى بقبضته على فكها ، إلا أنها مالت بظهرها فى مرونة مدهشة ، حتى عبرت قبضته فوقها ، وهى تقول :

ـ هل تعتقد هذا ؟

ثم وثبت فجأة ، وركلت أنفه بقدمها اليمنى ، مستطردة :

- إما أنك مخطىء ، أو ...
ودارت حول نفسها بسرعة ، لتحطم أسنانه بقدمها اليسرى ، قبل أن تضيف :
- أو أننى أفضل من كل من التقيت بهم من قبل .
سقط القاتل فى عنف ، وهو يتأوه فى ألم ، فانقضت عليه فى سرعة ، ولوت ذراعه خلف ظهره ، وهى تجذبه من شعره ، قائلة فى سخرية :
- هيا أيها الوغد ، لا داعى للخجل .. اعترف أننى هزمتك .
هتف فى غضب :
- هيهات .
ومال بغتة إلى الخلف ، وضرب جبهتها بمؤخرة رأسه فى قوة ، فاندفعت على الرغم منها ، وسقطت على ظهرها ، واضطرت لترك ذراعه ، فوثب محاولاً استعادة بندقيته ، ولكنه فوجئ بها تقفز نحوه ، وتركل البندقية بعيدًا ، وهى تقول فى غضب :
- أيها الحقير .. هل رأيت ما فعلته بى ؟
ثم التفت حول نفسها فى سرعة ، وضربت رأسه بقدمها ، مستطردة :
- ضربتك ستصنع كدمة فى جبهتى .

وضمت قبضتيها ، لتهوى بهما على مؤخرة عنقه ، مضيفة فى حدة :
- وستفسد شكلى لثلاثة أسابيع كاملة .
فقد القاتل وعيه ، مع عنف الضربة الأخيرة ، فنهضت تنفض كفيها ، قائلة فى حنق :
- لذا فأنت تستحق هذا .
قالتها ، ورفعت عينيها إلى منزل الجنرال (رالف) ، وهزت كتفيها ، مغمغمة :
- لست أرى ما الذى يمكن أن تفعله بدونى يا (أدهم صبرى) ؟!
فى نفس اللحظة التى نطقت فيها عبارتها ، كان (أدهم) يفحص جثة الجنرال ، ويعيد صورة (سونيا) إلى جيبه ، متمتمًا :
- ثانية أخرى وكنت ستحسم الأمر يا جنرال .
ثم نهض متلفتًا حوله فى اهتمام ، وراح يعبث ببعض الأوراق فى حجرة المكتب ، ثم التقط من بينها ورقة واحدة ، حملها معه إلى خارج المنزل ، حيث أوقفت (جيهان) سيارته فى انتظاره ، فسألها وهو يتخذ مقعد القيادة :
- أين القاتل ؟

أشارت بيدها خلفها ، مجيبة بابتسامة ساخرة :

ـ فى الحقيبة الخلفية مع بندقيته ، بعد أن أفرغت منها الرصاصات بالطبع .

انطلق بالسيارة ، مغمغما :

ـ أحسنت .

انعقد حاجباها فى شدة لقوله المقتضب ، وتمنت لو أنه أشعرها بأهمية ما فعلت ، وتساءلت عما كان يفعله مع (منى) ، فى ظروف مشابهة ، ثم لم تلبث أن أقنعت نفسها بأن (منى) لا يمكنها أن تتحرك بمثل براعتها ، فمطت شفتيها دون تعليق ، ولاذت بالصمت لحظة ، قبل أن تسأله :

ـ هل فزت بشىء ما من الجنرال ، قبل أن يقتله هذا الوغد ؟

أجابها فى اقتضاب :

ـ ليس بالكثير .

أحنقها أن يكتفى بهذا القول ، فقالت فى حدة :

ـ أليس لى الحق فى معرفة القليل ، عن المهمة التى أجازف فيها بحياتى ؟

سألها فى هدوء ، دون أن يلتفت إليها :

ـ ما الذى تريدين معرفته ؟

ارتبكت مع سؤاله ، فألقت أول ما جال بخاطرها ، قائلة :

ـ هل كان الجنرال (رالف أيدن) هو الرجل الذى نسعى خلفه ؟

ابتسم فى سخرية ، قائلا :

ـ المفترض أن قتله يثبت هذا .

انعقد حاجباها فى غضب ، وأشاحت بوجهها ، وهى تقول :

ـ إذن فأنت تصرّ على معاملتى بهذا الأسلوب .

رمقها بنظرة جانبية ، وابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـ وما ذنبى ؟.. أنت لا تجيدين إلقاء الأسئلة .

قالت غاضبة :

ـ فلنحمد الله لأن هذا هو الشىء الوحيد الذى لا أجيده .

رمقها بنظرة جانبية أخرى ، ثم قال :

ـ الجنرال اعترف بأنه المسئول عما حدث ، ولكننى لم أجد الوقت الكافى لسؤاله عن اسم الطيّار ، الذى قاد الهليوكوبتر ، والتقط المختطفين .

التفتت إليه ، تسأله فى اهتمام :

ـ ألا يمكننا التوصل إليه وحدنا ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لن يكون هذا سهلا ، فالسرب الذى انطلق كان يضم دستة من الطائرات والطيّارين ، وخطوط السير كلها بالغة السرية ، ويتم تخزينها فى كمبيوتر وزارة الدفاع ، تحت كود بالغ التعقيد ، ولا يمكننا التوصّل إلى معرفة هذا إلا بتصريح خاص للغاية .

سألته :

ـ وهل يمكننا الحصول على مثل هذا التصريح ؟

صمت لحظة ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ أعتقد هذا .

قالها ، وانحرف بالسيارة بغتة إلى منطقة مهجورة ، فسألته فى اهتمام :

ـ إلى أين ؟

أجابها ، وهو يوقف السيارة :

ـ أتعشّم ألا تكونى قد قسوت كثيرًا ، على الوغد الملقى فى الحقيبة الخلفية ، حتى لا يعوقنا هذا عن استجوابه .

ابتسمت ، قائلة :

ـ فى المرة القادمة حدّد المدى ، الذى ينبغى بلوغه بالضّبط .

غادر السيارة ، وانتزع القاتل منها ، وسكب على أنفه بضع نقاط من النشادر(*) المذاب فى الماء ، فانتفض ، وحدّق فى وجه (أدهم) فى شىء من الذعر ، وهو يستعيد وعيه ، فسأله هذا الأخير فى صرامة :

ـ من أرسلك لقتل الجنرال ؟

أجابه الرجل على الفور :

ـ لم أحضر خصيصًا لقتله .. إننى أراقبه طوال الوقت ، منذ مساء أمس ، والأوامر لدى أن أتخلّص منه فورًا ، لو حاول أى شخص استجوابه ، حتى لا يبوح بما لديه .

سأله (أدهم) :

ـ ومن أصدر إليك هذه الأوامر ؟

أجابه وهو يرتجف :

(*) النشادر : مركّب من الهيدروجين والنتروجين ، بنسبة ثلاثة إلى واحد ، وهو غاز لا لون له ، نفّاذ الرائحة ، سريع الذوبان فى الماء ، محلوله المائى قوى التأثير ، إذا اتحد جزء النشادر مع أيون هيدروجين تحوّل إلى أيون (أمنيوم) موجب الشحنة ، لا يوجد حرًا قط ، وإنما فقط فى مركّبات ، وتسهل إسالة النشادر بالضغط ، ولذلك يستعمل فى صناعة الثلج ، ويوجد مع مركباته فى الهواء ، والمواد النباتية الحيوانية المنحلّة .

- (جـون) .. (جـون بـارك) .. مديـر ملهـى (بلوكاتس) .. إننى أتعـامل معـه دائمـا .. هـذه كـل الحقيقة .. أقسم لك .

تطلّع (أدهم) إلى عينيه لحظة ، ثم قال فى حزم :

- أنا أصدّقك .

وهوى على أنفه بغتة بلكمة كالقنبلـة ، أسقطته فـاقد الوعى ، فألقـاه جانبـا ، والتقـط البندقيـة مـن حقيبـة السيارة ، وألقاها إلى جـواره ، و (جيهـان) تسـأله فى دهشة :

- لماذا فعلت هذا ؟

أجابها ، وهو يعود إلى مقعد القيادة :

- أريد أن يجده رجال الشرطة هنا ، عندما يحضـرون لإلقاء القبض عليه ، ولست أرغب فى إضاعة الوقت فى تقييده .

سألته فى دهشة :

- وكيف سيحضر رجال الشرطة إلى هنا ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

- نحن سنبلغهم هاتفيًا أيتها العبقرية .

انعقد حاجباها مرة أخرى فى حنق ، وهى تجلس إلـى جواره ، قائلة :

- لم أتصوّر أنه من المفترض أن نهتمَ بهذا ؟

أجابها ، وهو ينطلق بالسيارة :

- ذلك الوغد قاتل محترف ، وسيسعدنى أن أسهم فـى إلقائـه خلـف القضبـان ، أو إرسـاله إلـى الكرسـى الكهربائى .

ابتسمت ، قائلة :

- لم أكن أعلم أنك مصلح اجتماعى أيضًا .

أجابها فى برودٍ :

- الآن علمت .

ضايقهـا قولـه وجوابـه ، فعقـدت حاجبيهـا بضـع لحظات ، ثم غمغمت :

- هل سنتجه الآن إلى ملهى (بلوكاتس) ، لاستجواب (جون بارك) هذا ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- (جـون بـارك) يمكـن أن ينتظـر ، فهـو لـن يغلـق ملهاه ويبادر بالفرار ، لمجرّد أن قاتلـه المحتـرف وقـع فى قبضة الشرطة ، فـلا ريب أنـه يستطيع إثبات عدم تورّطه ببساطة .

سألته فى اهتمام :

- ما خطوتنا التالية إذن ؟

أجابها فى حزم :

ـ أن نراجع خط سير طائرات الهليوكوبتر ، لمعرفة الطيّار الذى التقط المختطفين .

قالت فى دهشة :

ـ وكيف السبيل إلى هذا ؟.. ألم تقل إن الحصول على هذه المعلومات يحتاج إلى تصريح خاص للغاية ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ وبتوقيع الجنرال (رالف أيدن) شخصيًا .

ارتفع حاجباها فى دهشة أكبر ، وهى تقول :

ـ إذن فمن المستحيل أن نحصل على مثل هذا التصريح .

أجاب فى هدوء :

ـ بل أعتقد أنه هناك من يمكنه أن يمنحنا التصريح اللازم .

سألته فى اهتمام :

ـ أهو أحد الجنرالات الآخرين ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ بل هو شخص قريب .. قريب جدًا .

قالها ، ووجهه يحمل ابتسامة غامضة .. غامضة للغاية ..

* * *

« أنا ؟! .. »

هتف (قدرى) بالكلمة فى دهشة بالغة ، وعيناه تتسعان بشدة ، محدقًا فى وجه (أدهم) ، الذى أجابه فى هدوء :

ـ نعم يا (قدرى) .. أنت .. أنت الشخص الوحيد الذى أثق فى قدرته على تزوير خط الجنرال (إيدن) ، وتوقيعه لمنحنا التصريح المنشود .

هزّ (قدرى) رأسه فى توتر ، غير مصدّق لما يسمعه ، وانخفض صوته ، وامتلأ بمرارته وحزنه ، وهو يقول :

ـ ولكنك تعلم ما أصابنى .. هل نسيت كيف حطّموا يدى ، و ... (*)

قاطعه (أدهم) فى حزم :

ـ كلاّ يا (قدرى) .. لم أنس قط ما فعله بك هؤلاء الأوغاد ، ولكننى لم أنس أيضًا أنك أفضل مزوّر رسمى عرفه التاريخ ، وأنه ليس من السهل أبدًا أن يفقد مثلك مهارته ، حتى لو تحطّم رأسه وليس كفه .

اغرورقت عينا (قدرى) بالدموع ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

ـ أنت لا تفهم يـا (أدهم) .. المشكلة أن الأصابع لا تستجيب بسهولة ، لمثل هذه الأعمال الدقيقة ، بعد فترة الكمون الطويلة ، التى قضتها فى العلاج .

هزّ (أدهم) رأسه فى حزم ، قائلا :

ـ هراء .. لقد استشرت طبيبك المعالج ، وأكّد لى أن يدك استعادت الكثير من طبيعتها بالفعل ، وأن المرحلة القادمة تعتمد ، أكثر ما تعتمد ، على إرادتك الشخصية ، ورغبتك فى استعادة كيانك .

حدّق فيه (قدرى) مبهوتا ، ثم رفع يده أمام وجهه ، وتطلّع إليها فى حيرة ، متمتما :

ـ هو قال هذا ..

أجابه (أدهم) بلهجة حاسمة :

ـ بالتأكيد .

ثم أخرج من جيبه تلك الورقة ، التى حصل عليها من مكتب الجنرال ، وناوله إياها ، مستطردا :

ـ ها هى ذى عينة من خطه وتوقيعه ، وأنا واثق من أنك لن تخذلنى .

وأمسك كتفيه فى قوة ، وتطلّع فى عينيه مباشرة ، قائلا :

ـ أنا أثق بك تمام الثقة .

وأشار لـ (جيهان) أن تتبعه ، وهو يغادر الحجرة ، مضيفا :

ـ أنا فى الانتظار . فليس أمامنا الكثير من الوقت .

غادرت (جيهان) الحجرة معه ، وأغلقت بابها على (قدرى) ، ثم سألته فى فضول واهتمام :

ـ هل أخبرك طبيبه بهذا حقا ؟!

هزّ رأسه نفيا ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ كلا .

سألته فى دهشة :

ـ لماذا حاولت إقناعه بهذا إذن ؟

استدار إليها فى صمت ، وتطلّع إلى وجهها لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ (قدرى) أقرب وأحب الأصدقاء إلى قلبى ، وأنا لم أكذب قط ، عندما قلت إننى أثق به تمام الثقة ، فهو محترف فى مجاله ، وإنسان مخلص وحساس إلى أقصى حد ، ولن يفهم الأطباء طبيعته قط .. لن يمكنهم أن يدركوا ما يمكن أن تفعله به الإرادة .. ثم إنه سيستنفر كل قواه ، وكل إرادته ، عندما يعلم أننا بحاجة إليه ، وأنه أملنا الوحيد ، وعندئذ ستتفجر ينابيع القوة فى أعماقه ، ويندلع بركان حماسه ونشاطه ، وتبرز

قدراته المدهشة إلى السطح ..

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حسم :

ـ وسينجح بإذن الله .

سألته مبهورة :

ـ أتفعل كل هذا ، من أجل نجاح المهمة ؟!

هزّ رأسه نفيًا فى صلابة ، وهو يجيب :

ـ كان بإمكانى أن أجد حلاً بديلاً لإتمام المهمة ، ولكننى فعلت هذا من أجل (قدرى) ..

اتسعت عيناها ، وهى تتطلّع إليه فى انبهار ..

وخفق قلبها فى عنف ..

كم هو رائع وعظيم ..

كم هو نادر الوجود ..

وكم تحبه !..

إنها لا تستطيع نسيان هذا أو تجاهله ، مهما بذلت من جهد ، ومهما حاولت إقناع نفسها بالعكس ، أو بأن قلبه ملك لـ (منى) ، ولن يكون أبدًا ملكًا لها ..

ولكن لماذا تقاوم حبه ؟!..

لماذا تتعذّب لمقاومته ؟!..

فلتنعم بلحظات قربه فحسب ، دون التفكير فى تفاصيل أخرى ..

ربما لا يكون أبدًا لها ، ولكنها ستظل تصرخ بحبه فى أعماقها ، حتى آخر لحظة فى حياتها ..

ستظلّ تحبه ..

تحبه ..

تحبه ..

وبكل الانفعال الجارف فى أعماقها ، هتفت :

ـ أنت رائع .

ابتسم فى هدوء ، قائلاً :

ـ أشكرك يا زميلتى العزيزة .

رقصت الكلمة فى قلبها ، كما يحدث فى كل مرة ، فاقتربت منه مبتسمة ، وهى تقول :

ـ أمن الضرورى أن أسقط فى غيبوبة عميقة ، حتى تقع فى حبى ؟

لم تكد تنطقها ، حتى شعرت بندم شديد على ما تفوّهت به ..

لماذا أقحمت غريمتها فى عبارتها ؟!..

لماذا ربطت قلبها بها ؟!..

ولماذا ذكّرته بأمرها ؟!

لا ريب فى أنه سيستعيد حزنه ومرارته ، و ...

ولكن مهلا .. لقد حملت شفتاه ابتسامة حنون ، بدلا من حزنه المتوقّع ، وهو يقول :

- إننى أحبها قبل هذا بكثير .

تمزق قلبها للعبارة ، وأقنعت نفسها بأنها المسئولة عما أصابها ، لأنها دفعت تفكيره نحو (منى) ، وكادت الدموع تقفز من عينيها ، فقاومتها بشدة ، فى نفس اللحظة التى فتح فيها (قدرى) باب حجرته . والدموع تغرق وجهه ، وهو يقول :

- لقد فعلتها .

ومدّ يده إلى (أدهم) بالتصريح ، الذى يحمل توقيع الجنرال (رالف أيدن) ، ثم لم يتمالك نفسه ، فاندفع يعانق (أدهم) ، وهو يبكى فى حرارة ، قائلا :

- كيف أشكرك يا صديقى ؟.. كيف أشكرك ؟..

ومع هذا الموقف الانفعالى ، توقّفت (جيهان) عن مقاومة دموعها ، وتركتها تنسكب على وجهها .. وبكل حرارة .

* * *



٥ - ليلة بلا نهاية ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل ، عندما ألقى الضابط المسئول عن الوثائق الإليكترونية نظرة على التصريح ، الذى قدّمه إليه (أدهم) ، ومطّ شفتيه ، قائلا :

- لست أدرى ما الداعى للقيام بهذا الفحص ، فى ساعة متأخرة كهذه !.. ألا يمكن الانتظار حتى الصباح ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا فى حزم ، مجيبًا :

- كلاّ .. الأمر يخصّ الأمن القومى ، ولا يمكنه الانتظار لحظة واحدة .

مطّ الرجل شفتيه مرة أخرى ، ثم هزّ كتفيه ، وأشار إلى (أدهم) و (جيهان) ، قائلاً :

- فليكن .. اتبعانى .

قادهما عبر ممرات المبنى إلى حجرة كبيرة ، احتشد فيها عدد من أجهزة الكمبيوتر الحديثة ، واتجه إلى أحدها ، وضغط أزراره ، ثم أشار إلى شاشته ، قائلا :

- الكمبيوتر مستعد الآن لإجابة تساؤلاتكما .. هل تحتاجان إلى وجودى ؟

أجابته (جيهان) مبتسمة :

ـ لو احتجنا إلى وجودك سنطلب هذا على الفور .

لوّح بيده ، قائلا :

ـ فليكن .. انتهيا من عملكما ، وسأنتظركما فى مكتبى .. إلى اللقاء .

غادر الحجرة فى بساطة ، وتركهما وحدهما داخلها ، فهزّت (جيهان) رأسها ، قائلة :

ـ كم تدهشنى سهولة الحصول على المعلومات هنا .

أجابها (أدهم) ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ لديهم هنا قانون ، يمنح أى مواطن الحق فى الحصول على أية معلومات عامة ، بعد سداد الرسوم المطلوبة ، كما يمكنه الحصول على المعلومات العسكرية المتاحة ، بتصريح خاص من المسئولين العسكريين (*) .

جلست إلى جواره ، قائلة :

ـ أليس من العجيب أن ينطبق هذا على المعلومات العسكرية أيضًا ؟

(*) حقيقة .

هزّ رأسه نفيا ، وهو يجيب :

ـ مطلقا .. فالقانون وضع الكثير من الضوابط ، فى هذا الشأن ، وهذا يضمن عدم التفريط فى المعلومات الخاصة أو السرية .. فقط المعلومات البسيطة ، كنوع ثياب الجنود ، وطرق تقديم الطعام لهم ، ومواعيد المناورات الرسمية ، وغيرها ، وهذا لا ينطبق على ..

بتر عبارته بغتة ، مع المعلومات التى تراصت على الشاشة ، مع خريطة للعاصمة ، رسمت فوقها خطوط سير الطائرات ، التى انطلقت فى الرحلة التدريبية ، فى تلك الليلة ، وتراجع قائلاً :

ـ يبدو أن المهمة لن تكون سهلة ..

كانت خطوط السير كلها بعيدة عن ذلك المسار ، الذى اتخذته الهليوكوبتر ، التى التقطت المختطفين ، وهذا يعنى أن تلك الهليوكوبتر أجرت تعديلاً محدودًا فى خط سيرها ، لتتم هذه المهمة غير الرسمية سرًا ..

ويعنى أيضًا أنه على (أدهم) أن يستعين بكل خبراته السابقة فى عالم الطيران ، لتحديد الهليوكوبتر المنشودة ..

كل خبراته ..

* * *



كانت خطوط السير كلها بعيدة عن ذلك المسار ، الذى اتخذته الهليوكوبتر ..

أوقف مفتش المباحث الفيدرالى (دين هانكس) سيارته ، أمام منزل الجنرال (أيدن) ، وغادرها فى هدوء ، وهو يلقى نظرة شاملة على ذلك الحشد من رجال الشرطة ، والصحافة ، ورجال البحث الجنائى ، والفحص ، والطب الشرعى ، والعامة ، الذين أحاطوا بالمكان ، ثم عدّل سترته ، وأبرز شارته ، قائلا :

- مباحث فيدرالية .. أفسحوا الطريق .

وعلى الرغم من صفته الرسمية ، شق طريقه إلى المنزل فى صعوبة ، وهو يغمغم :

- كل هذا فى الواحدة والنصف صباحًا؟!.. ماذا إذن لو أن الجريمة ارتكبت فى منتصف النهار .

استقبله مفتش الشرطة الجنائية (ملفن) بابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- مرحبًا يا (هانكس) .. إذن فقد أيقظوك أنت أيضًا .

أجابه (هانكس) ، وهو يصافحه فى بساطة :

- مقتل جنرال فى القوات الجوية ليس بالأمر البسيط يا رجل .

أشار (ملفن) بيده ، قائلا :

- نقصد اغتياله ، فالوسيلة التى تم بها القتل أقرب إلى الاغتيال السياسى ، منها إلى القتل العادى .. انظر ..

لقد كان يستند إلى النافذة ، عندما تلقى الرصاصة فى مؤخرة عنقه ، فسقط على وجهه ، وتحطم أنفه تمامًا .

عقد (هانكس) حاجبيه ، وهو يتأمل ما حوله فى اهتمام ، وتطلع لحظة إلى جثة الجنرال ، ثم إلى موضع الرصاصة ، التى حطمت جزءًا من زجاج النافذة ، قبل أن يسأل :

ـ ولماذا يستند بظهره إلى النافذة ؟

هز (ملفن) رأسه ، قائلا :

ـ كل شخص حر فيما يفعله فى منزله .

ثم تنهد ، مستطردًا :

ـ ولكن الأمر لا يقتصر على هذا .

سأله (هانكس) فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى ؟

أشار إلى أحد الأركان ، مجيبًا :

ـ عندما فحصنا المكان فى البداية ، كنا نبحث عن آثار رصاصات أخرى ، أو ما يشير إلى حدوث شجار ، أو علامات مقاومة ، إلا أن البحث قادنا إلى مفاجأة غير متوقعة .

وصمت لحظة ، وهو يلتفت إلى (هانكس) ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ أجهزة تصنت مزروعة فى كل الحجرات .

ازداد انعقاد حاجبى (هانكس) فى شدة ، وهو يقول فى انفعال :

ـ أجهزة تصنت فى كل الحجرات ؟!.. إذن فهو ليس اغتيالاً عاديًا .. إنه عمل من أعمال التجسس !

سأله (ملفن) فى حيرة :

ـ ولكن ما فائدة التجسس على رئيس فريق التدريب ؟!

أجابه (هانكس) :

ـ ربما كان هذا جزءًا من برنامج تجسس عام ، على كل جنرالات الجيش .

سأله (ملفن) :

ـ لماذا قتلوه إذن ؟!

بدت الحيرة على وجه (هانكس) وهو يغمغم :

ـ ربما كان لديهم دافع لهذا .

وصمت لحظات مفكرًا ، قبل أن يسأله فى اهتمام بالغ :

ـ قل لى يا (ملفن) : هل كان الجنرال (أيدن) يتولى عملاً خاصًا ، فى الآونة الأخيرة ؟

أجابه (ملفن) ، وقد أدرك ما يرمى إليه :

ـ لا يمكننى الجزم بهذا .. لابد من سؤال القوات الجوية مباشرة .

التقط (هانكس) سمّاعة الهاتف ، قائلا :

ـ بالتأكيد ، ودون إضاعة لحظة واحدة .

انطلق رنين الهاتف ، فـى مكتب ضابط الوثائق الإليكترونية ، المسئول عن القاعدة الجوية الرئيسية ، فى تلك النوبتجية الليلية ، فالتقط سمّاعة الهاتف ، قائلا :

ـ القاعدة الجوية الرئيسية .. من المتحدّث ؟

أتاه صوت المفتش (هانكس) ،وهو يقول :

ـ هنا المفتش (دين هانكس) ، من المباحث الفيدرالية ، أريد معرفة بعض المعلومات الخاصة ، حول الجنرال (رالف أيدن) .

ارتفع حاجبا الضابط ، وهو يقول فى دهشة :

ـ عجبًا !.. ماذا أصاب الجنرال (أيدن) هذه الليلة ؟!.. فى البداية يرسل الصحفى وزميلته فى الواحدة صباحًا ، للحصول على المعلومات ، ثم تطلبون أنتم معلومات عنه ، فى الواحدة والنصف .. قل لى يا رجل المباحث الفيدرالية : هل أصبح الجنرال (أيدن) فجأة هو مركز الكون ؟!

هتف (هانكس) :

ـ الجنرال (أيدن) لم يعد مركزًا لأى شىء فى الكون كله يا رجل .. لقد لقى مصرعه .. مات .. اغتاله بعض

الأوغاد ، وأعتقد بشدة أن الرجل والفتاة ، اللذين حضرا للحصول على المعلومات ، لهما يد فى مصرعه .

قفز الضابط من مقعده ، هاتفًا :

ـ ماذا ؟!.. الجنرال (أيدن) قُتل ؟!.. يا للشيطان !.. اسمع يا رجل المباحث الفيدرالية .. الرجل والفتاة ما زالا هنا ، وسنلقى القبض عليهما فورًا .

هتف (هانكس) :

ـ لا تسمح لهما بالخروج من القاعدة ، حتى أصل إليك لاستجوابهما .

وأنهى المحادثة بسرعة ، ليهرع إلى سيارته ، فى حين أعاد الضابط السمّاعة إلى موضعها ، وهو يقول بغضب هادر :

ـ اللعنة !.. قتلاه ثم أتيا للحصول على المعلومات !.. يا للوقاحة !

وعضّ شفتيه فى غضب ، ثم هتف :

ـ ولكنهما سيدفعان الثمن .. سيدفعان الثمن غاليًا .

وضغط زر استدعاء طاقم الأمن ، وهو يضيف فى ثورة :

ـ وليذهب الاستجواب إلى الجحيم .. قتلة الجنرال سيلحقان به الليلة .

واندلعت النيران من عينيه ، وهو يستطرد :
ـ وبلا رحمة ..
وحمل مدفعه الآلى ..
وخرج للقاء طاقم الأمن ..

* * *

أشار (أدهم) بسبَّابته فى حزم ، إلى أحد الأسماء المدوَّنة على الشاشة ، وهو يقول :
ـ ها هوذا .. (مايكل فريمان).. إنه رجلنا .
سألته (جيهان) فى اهتمام :
ـ أأنت واثق من أنه قائد الطائرة ، التى التقطت المختطفين ؟!
أجابها فى حسم :
ـ إنه الوحيد الذى يمكنه تغيير خط سيره ، دون أن يثير الكثير من القلق أو الشكوك ، فلن يكون مضطرًا إلى الانحراف بزوايا حادة لتغيير المسار ، وإنما سيدور بنصف دائرة حول مركزه ، فيلتقط المختطفين ، ثم يعود إلى خط سيره الرئيسى ، ويهبط بهم فى مكان ما خارج العاصمة .
ابتسمت ، وهى تتطلَّع إليه فى إعجاب ، قائلة :
ـ قل لى : أيوجد ما تجهله فى هذا العالم ؟

أجابها فى جدية :
ـ بالتأكيد .. لا أحد يجيد كل شىء .
ثم ضغط أزرار الكمبيوتر مرة أخرى ، مستطردًا :
ـ المهم الآن أن نحصل على نسخة من بيانات (مايكل فريمان) هذا ، حتى نذهب لمقابلته ، قبل أن يستيقظ من نومه .
هتفت :
ـ الليلة ؟!.. إننا لم ننم لحظة واحدة ، منذ عودتنا من (سويسرا) .
قال فى حزم ، وهو يراقب الطابعة ، التى تطبع بيانات الطيَّار :
ـ النوم يمكن أن ينتظر .
مطَّت شفتيها ، قائلة :
ـ ولكن قلة النوم تفسد البشرة ، وتصنع هالات سوداء حول العينين .
ابتسم ، وهو يلتقط ورقة الطابعة ، ويدسها فى جيبه ، قائلًا :
ـ أخبرينى : هل يقلقك مظهرك هكذا دائمًا ؟
هزَّت كتفيها بشىء من الدلال ، قائلة :
ـ ألا يستحق هذا ؟!

هزّ رأسه ، وهو يضحك قائلا :

ـ يا للنساء !

ثم نهض مستطردا :

ـ والآن هيا بنا ، سنغادر هذا المكان ، قبل أن ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يتطلع عبر النافذة الزجاجية الصغيرة إلى الممر المقابل للحجرة ، حيث وقف ضابط الوثائق ، يلقى بتعليماته لعددٍ من الرجال ، الذين يحملون مدافعهم الآلية فى تحفز ، وعيونهم ترمق الحجرة فى صرامة ..

وفى اللحظة نفسها ، قالت (جيهان) فى توتر :

ـ يبدو أنهم كشفوا أمرنا .

غمغم :

ـ هل لاحظت هذا ؟

أجابت بسرعة :

ـ ألديك تفسير آخر لما يفعلونه ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا ، ولكننا سنتظاهر بأننا لم ندرك هذا .. تعالى .

وغادر الحجرة فى هدوء ، ورسم على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يتقدّم نحو الضابط ، قائلا :

ـ آه .. أنت هنا أيها الضابط .. كنا فى طريقنا إلى مكتبك ، لنقدّم لك شكرنا على تعاونك ، و ...

وفجأة ، وثب نحوه ، وأمسك يده ؛ ليلوى ذراعه خلف ظهره ، ثم يدفعه أمامه فى قوة نحو رجاله ، و(جيهان) تعدو خلفه فى حماس ..

ومع الحركة المباغتة ، تراجع رجال الأمن الأربعة فى دهشة ، ورفعوا فوهات مدافعهم الآلية نحو (أدهم) و (جيهان) ، إلا أن أحدهم لم يجرؤ على إطلاق رصاصة واحدة ، و (أدهم) يتخذ من ضابطهم درعًا ، ويندفع به نحوهم ، والضابط يصرخ :

ـ ماذا تفعل أيها اللعين ؟!.. ماذا تفعل ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يدفعه نحو رجاله فى قوة :

ـ أسرق منك زمام المبادرة أيها العبقرى .

ارتطم الضابط باثنين من رجاله فى عنف ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أدهم) ، ليركل المدفع الآلى من يد الرجل الثالث ، مستطردًا :

ـ وأصنع منك عائقًا يصعب اختراقه .

تحرّك الرجل الرابع بسرعة ، وصوّب مدفعه نحو (أدهم) ، ولكن (جيهان) دارت حول نفسها فى رشاقة مدهشة ، وركلته فى أنفه ، قائلة :

ـ لا تنسانى .. أنا هنا .

تراجع الرجل فى عنف ، وهتف :

- أيتها الـ ...

أخرسته بلكمة قوية ، فى أسنانه مباشرة ، وهى تقول :

- إياك أن تنطقها .

تحطمت اثنتان من أسنانه الأمامية ، وتفجر الدم من بين شفتيه ، فأطلق كعب مدفعه فى وجهها ، صارخا والدماء تتناثر مع كلماته :

- سأقتلك .

انحنت فى سرعة ومرونة ، قائلة :

- لا .. إلا وجهى .

ثم اعتدلت لتغوص بقبضتها اليسرى فى معدته ، مستطردة :

- إننى أهتم بالحفاظ على نضارته .

انثنى الرجل ، وهو يتأوه فى ألم ، مع لكمتها القوية ، فانطلقت قبضتها اليمنى كالقنبلة ، لتحطم أنفه ، وتجبره على الاعتدال ، وهى تضيف :

- مهما كان الثمن .

فى نفس اللحظات ، التى فعلت فيها هذا ، كان (أدهم) يدور حول نفسه ، ويلكم أحد رجال طاقم الأمن ، فى نفس اللحظة التى يركل فيها الثانى ، ثم يثب

فى مرونة ، معتمدا على كتف الثالث ، لتضرب قدمه أنف الضابط مباشرة ، ثم يضرب قدميه فى الجدار ، ليدفع الرجل الثالث أمامه إلى الجدار المقابل ، ويندفع نحوه ، ليغوص بقدميه فى معدته ، ويجبره على الانحناء ، ليحمله فى قوة بقدميه ، ويضرب برأسه الجدار فى عنف ..

وهتفت (جيهان) فى حماس :

- أحسنت يا سيادة العميد .. أنت تقاتل بأسلوب مدهش.

جذبها من يدها ، قائلاً فى حسم :

- هيا بنا .

انطلقا يعدوان معًا خارج المبنى ، وهى تهتف :

- من المؤكد أنهم لن يسمحوا لنا بالخروج ، بعد أن كشفوا أمرنا .

توقف يتلفت حوله ، ثم قال فى حزم :

- ومن يطلب موافقتهم ؟!..

مع آخر حروف كلماته ، انطلقت صفارة إنذار فى المكان ، وبرز الضابط بأنفه المحطم من المبنى ، وهو يصرخ :

- أوقفوهما .. لقد قتلا الجنرال (أيدن) .

انطلقا يعدوان بأقصى سرعتهما ، نحو ساحة كبيرة ،

تراصت فيها طائرات الهليوكوبتر . وانطلقت خلفهما واحدة من سيارات (الجيب) العسكرية ، تحمل ثلاثة من الجنود ، المسلحين بالمدافع الرشاشة ، والضابط يصرخ :

ـ اطلقوا النار .. إنهما قاتلان .

انطلقت الرصاصات خلف (أدهم) و (جيهان) ، وهما يجريان بأقصى سرعتهما ، فهتفت الأخيرة فى توتر :

ـ كان ينبغى أن نلتقط أحد المدافع الآلية .. لن يمكننا أن نربح السباق هذه المرة .

هتف بها (أدهم) ، وهما ينطلقان فى خط متعرّج ، تفاديًا للرصاصات :

ـ واصلى الطريق إلى ساحة الطائرات ، وارتفعى بأوّل هليوكوبتر صالحة للإقلاع .

سألته فى دهشة :

ـ وماذا عنك ؟

صاح فى صرامة :

ـ نفذى الأمر أيتها النقيب ، ولا تلتفتى خلفك مهما حدث .

خفق قلبها فى قوة ، وهو يفلت يدها ، ويستدير لمواجهة (الجيب) ، ولكنها لم تتوقّف عن العدو ..

كانت تتمنى من أعمق أعماق قلبها أن تبقى إلى

جواره ، وأن تقاتل معه حتى آخر رمق ، إلا أن ثقتها الشديدة بقدراته وحصافة رأيه ، وسرعته فى اتخاذ القرار السليم ، جعلتها تطيعه طاعة عمياء ، وتواصل طريقها نحو الطائرات بأقصى سرعة ..

أما هو ، فقد استدار لمواجهة الجيب ، فى مبادرة مدهشة ، أربكت الجنود الثلاثة ، الذين فوجئوا به يندفع نحوهم فى مسار متعرّج ، تصعب إصابته برصاصاتهم ، وكأنه ينقضّ على السيارة مباشرة ، فهتف أحدهم فى دهشة :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟!

ومع آخر حروف كلماته ، وثب (أدهم) ..

كانت وثبة مدهشة وعجيبة ، فقد ارتفع لمترين على الأقل ، ثم انقضّ من أعلى على (الجيب) المكشوفة ..

ومع المبادرة المذهلة ، اتسعت عيون الجنود الثلاثة ، وتجمّدت سبّاباتهم على أزندة مدافعهم الآلية ، وقبل أن يفيقوا من ذهولهم هذا ، كانت قدمه تركل وجه أحدهم ، وتلقيه خارج السيارة ، وذراعه تحيط بعنق الثانى ، وتنتزعه من مقعده ، لتلقى به خلف زميله ..

وفى توتر بالغ ، حاول سائق الجيب أن يستدير لمواجهته ، ولكن (أدهم) كال له لكمة كالقنبلة ، وهو يقول :

ـ تأخرت كثيرًا يا رجل .

دفعت اللكمة الرجل فى عنف ، فاختل توازنه ، وحاول إدارة فوهة مدفعه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير ركله فى صدره ، هاتفًا :

ـ أكثر مما ينبغى .

سقط الرجل من السيارة ، وارتطم بالأرض فى عنف ، وراح يتدحرج فوقها ، فى حين قفز (أدهم) إلى مقعد القيادة ، ليسيطر على السيارة ، قبل أن تنحرف عن مسارها ، ويواصل طريقه للحاق بـ (جيهان) ، التى قفزت داخل إحدى طائرات الهليوكوبتر ، وراحت تعدُّها للإقلاع بأقصى سرعتها ..

كانت تحتاج إلى دقائق خمس لإعداد الهليوكوبتر للإقلاع ، ولكن الضابط المسئول كان يصرخ :

ـ انطلقوا خلفهما .. لا تسمحوا لهما بالفرار .

انطلقت ثلاث سيارات (جيب) أخرى خلف سيارة (أدهم) ، الذى أدرك ضرورة مناورتها لخمس دقائق كاملة ، حتى تستعد (جيهان) للإقلاع ، فاستدار بسيَّارته (الجيب) ، واندفع نحو السيارات الثلاث ، مغمغمًا :

ـ (جيهان) على حق .. كان ينبغى أن نحصل على أحد المدافع الآلية ..

لم يكد ينطق عبارته ، حتى وقع بصره على المدفع الآلى ، الملقى فى المقعد الخلفى للسيارة (الجيب) ، فارتفع حاجباه ، وهتف ساخرًا :

ـ عجبًا !.. لم أكن أعلم أن السيارة مزوَّدة بمصباح (علاء الدين)(*) .

ثم التقط المدفع الآلى ، وراح يطلق النار على سيارات الجيب الثلاث ..

وعلى الرغم من أن ركاب السيارات الثلاث تبادلوا معه إطلاق النار ، إلا أن مهارته فى هذا المضمار ، كانت تفوق مهارتهم مائة مرة ، حتى أن كل رصاصة أطلقها كانت تعرف طريقها وهدفها جيدًا ..

ومن بعيد ، رأى الضابط إطارات السيارة الأولى تنفجر ، ومبرِّد الثانية ينهار ، تحت وطأة رصاصات

(*) قصة (علاء الدين) والمصباح السحرى قصة عربية قديمة ، تتحدث عن صبى صغير (علاء الدين) ، استجاب لمطلب ساحر شرير ، فى الهبوط إلى كهف عميق ، وإحضار مصباح سحرى منه ، ولكن (علاء الدين) رفض تسليم المصباح ، قبل أن يخرجه من الكهف ، فسجنه الساحر فيه ، وكشف (علاء الدين) طبيعة المصباح السحرى ، والجن القابع داخله ، والذى يخرج مع دعك المصباح ، لتنفيذ كل ما يطلبه حامله من أمنيات .

(أدهم) الصائبة ، والسيارة الثالثة تناور للإفلات من رصاصاته ، بدلا من أن تطارده كالمفترض ، فهتف بأحد رجاله :

- أعطنى المدفع المضاد للدبابات .

ناوله الرجل مدفعًا اسطوانيًا كبيرًا ، ألقاه على كتفه ، وصوبه فى دقة إلى سيارة (أدهم) ، وهو يقول :

- من سوء حظك أيها الجاسوس ، أننى الفائز الأول دائمًا ، فى تدريبات مقاومة الدبابات .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحكم تصويب مدفعه إلى السيارة ، مستطردًا فى حزم صارم :

- وأننى لا أخطئ الهدف أبدًا .

وضغط زناد المدفع .. وانطلق الصاروخ المضاد للدبابات ..

ودوى الانفجار هائلاً ، والشظايا تتناثر فى دائرة واسعة ، معلنة أن الصاروخ قد أصاب هدفًا ثمينًا ..

ثمينًا للغاية .

* * *



٦ - الفجر ..

ارتجفت شفتا (قدرى) ، وترقرقت عيناه بدموع الفرح ، وهو يراجع نتائج عمله ، خلال الساعتين السابقتين ..

كان قد أخرج عدة أوراق قديمة ، وراح ينسخها بمنتهى الدقة والاهتمام ، ثم جلس يتأمل نتيجة عمله غير مصدق ..

لقد صنع نسخًا طبق الأصل من الأوراق ، بحيث يصعب بشدة تفرقة الأصل عن النسخة المزورة ..

نفس الخط ..

والأسلوب ..

والتوقيعات ..

تمامًا مثلما كان يفعل فى الماضى ..

وكان من الصعب عليه أن يصدق هذا ..

لقد ظل يتردد فترة طويلة ، فى العودة إلى عمله القديم ، خشية أن يفشل ، فيصيبه الإحباط ، ويفقد ثقته بنفسه إلى الأبد ..

ولكن (أدهم) وضعه أمام الأمر الواقع ..

دفعه دفعًا إلى استنفار طاقاته الكامنة ، واستعادة مواهبه الدفينة ..

وكان لهذا الأسلوب أبلغ الأثر فى نفسه ..

يكفيه أن صديق عمره منحه ثقته كلها ..

وفى موقف بالغ الحساسية ..

لذا فقد أصرّ على أداء العمل ..

وعلى أكمل وجه ..

وفعلها ..

منح (أدهم) ما أراد ..

ومنح نفسه حياة جديدة ..

فجر جديد أشرق فى حياته ، بعد ليل حالك طويل ..

وبكل الانفعال والسعادة فى أعماقه ، هتف بصوت متهدّج :

ـ واصديقى (أدهم) .. كيف أشكرك ؟.. كيف أعبّر لك عما يجيش فى نفسى ؟

وغمرت الدموع وجهه ، وهو يستعيد صورة (أدهم) فى سعادة وامتنان ، ثم لم يلبث القلق أن تسلّل إلى نفسه ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، مغمغمًا :

ـ تُرى أين أنت الآن يا (أدهم) ؟.. أما زلت حيًا ترزق ، أم ... ولم يستطع إتمام عبارته ..

فهناك ..

وفى أعمق أعماقه ..

نبت قلق مبهم عنيف ..

قلق جعل قلبه يخفق فى عنف ، وسؤاله يتكرّر ويتكرّر فى أعماقه ..

أين أنت يا (أدهم) ؟..

أين ؟!..

* * *

بلغ دوى الرصاصات مسامع المفتش الفيدرالى (هانكس) ، وهو يوقف سيارته أمام بوابة القاعدة الرئيسية ، فأبرز بطاقته لحارسها ، وهو يسأله فى توتر بالغ :

ـ ماذا يحدث بالداخل ؟!.. هل اشتعلت الحرب ؟!

أجابه الحارس بسرعة ، وهو يفتح البوابة ، ليسمح له بالدخول :

ـ هناك جاسوسان بالداخل ، والرجال يحاصرونهما للقضاء عليهما .

هتف (هانكس) :

ـ القضاء عليهما ؟!.. من الأحمق الذى أصدر مثل هذا الأمر ؟

ارتبك الحارس ، وهو يقول :

- الضابط المنوب .. لقد ...

لم ينتظر المفتش (هانكس) حتى يتمّ الرجل عبارته ، وإنما انطلق بأقصى سرعته إلى الداخل ، وهو يقول لنفسه فى غيظ :

- يا للحمقى الأغبياء !.. يحاصرون الجاسوسين فى القاعدة ، ثم يسعون لقتلهما !.. هكذا رجال الجيش دائمًا .. لا يدركون أهمية الاستجوابات والتحقيقات ، والسعى خلف الحقيقة ، التى تختفى وراء أى حادث غير تقليدى .. كل ما يفكرون فيه هو العنف والقتل والتدمير ، دون عقل أو تفكير .. يا للسخافة !

كان ينطلق بسيارته نحو ساحة طائرات الهليوكوبتر ، عندما شاهد الضابط يطلق صاروخه نحو سيارة (الجيب) ، التى ينطلق بها (أدهم) ..

ثم شاهد (أدهم) ينحرف بالسيارة بسرعة مدهشة ، ومهارة تستحق الإعجاب ، ويدور بها حول نفسها فى براعة ، بحيث تجاوزها الصاروخ بنصف متر فحسب ، وواصل طريقه بسرعة مخيفة ، حتى ارتطم بواحدة من طائرات الهليوكوبتر الحربية ، التى انفجرت بدوى

هائل ، وتناثرت شظاياها فى مساحة واسعة ..

وبكل الحنق فى أعماقه ، صرخ المفتش (هانكس) :

- أيها التعس .. هذه الطائرة تساوى سبعة ملايين دولار على الأقل .

التفت إليه الضابط ، وصاح فى غضب :

- من هذا الرجل ؟!.. من سمح له بالدخول ؟!

صرخ (هانكس) :

- أنا المفتش (هانكس) ، من المباحث الفيدرالية ، وأنت سمحت لى بالدخول ، وتركت أمرًا بهذا عند البوّابة ، وربما كان هذا من سوء حظك ، لأننى سأتهمك بتجاوز إجراءات الأمن التقليدية ، والتسبب فى تدمير طائرة هليوكوبتر ثمينة .

صاح به الضابط فى ثورة :

- إذهب إلى الجحيم يا رجل المباحث الفيدرالية .. لقد قتلا الجنرال (أيدن) ، ولن يخرجا من هنا على قيد الحياة .

أشار (هانكس) إلى الهليوكوبتر ، التى ارتفعت بها (جيهان) بالفعل ، وهو يقول شامتًا :

- هل تظن هذا حقًا ؟!

انعقد حاجبا الضابط فى غضب ، وأسرع يضع

صاروخا آخر فى مدفعه ، ويصوبه إلى الهليوكوبتر ، والجيب تطارد (أدهم) ، فصاح به (هاتكس) :

ـ هل ستنسف هليوكوبتر أخرى ؟

صاح الضابط :

ـ هذا أفضل من أن تفرّ بها تلك الحقيرة .

ولكن (أدهم) انحنى بالسيارة (الجيب) نحوه فى حركة حادة ، وانطلق باتجاهه مباشرة ، وتبعته (جيهان) بالهليوكوبتر ، فهتف (هاتكس) :

ـ احترس .. إنه يهاجمك .

خفض الضابط فوهة مدفعه بسرعة ، وصوبها نحو سيارة (أدهم) ، التى تندفع نحوه بسرعة كبيرة ، و (جيهان) تحلق فوقها بالهليوكوبتر ، هاتفة :

ـ هيا يا (أدهم) .. هيا .

وأطلق الضابط صاروخه ..

وفى نفس اللحظة ، وثب (أدهم) ..

وثب يتعلق بالهليوكوبتر ، التى ارتفعت بها (جيهان) فى سرعة ، والصاروخ يضرب (الجيب) ، وينفجر معها بدوى عنيف ..

ولكن الجيب لم تتوقف ..

لقد اشتعلت فيها النيران ، وانفجر محركها ، ولكنها



وفى نفس اللحظة ، وثب (أدهم) !.
وثب يتعلق بالهليوكوبتر ، التى ارتفعت بها (جيهان) فى سرعة ..

واصلت اندفاعها نحو الضابط ، الذى اتسعت عيناه فى ذعر ، وقفز جانبا ، وهو يصرخ :

ـ اللعنة !

وتجاوزته السيارة المشتعلة ، لترتطم بجدار مكتبه ، وتتناثر ألسنة اللهب منها فى كل اتجاه ، والهليوكوبتر تبتعد وتبتعد ، وضحكة (أدهم) الساخرة تنبعث منها عالية مجلجلة ، على نحو أحنق الضابط ، وجعله يصرخ :

ـ اللعنة !.. اللعنة !.. اللعنة !.. استدعوا كل الطيارين .. أبلغوا كل وحدات الدفاع الجوى .. لا تسمحوا لهما بالفرار .. لا تسمحوا لهما أبدًا .

ولكن الهليوكوبتر واصلت تحليقها مبتعدة ، حتى اختفت فى الظلام ، وبداخلها هتفت (جيهان) فى حماس :

ـ ربحنا المعركة كالمعتاد يا سيادة العميد .. هؤلاء الأوغاد تصوروا أنهم يستطيعون هزيمتنا ، بمجرد أنهم أكثر عددا .

ابتسم ، وهو يقول :

ـ ولكن الأمثال القديمة تقول : « الكثرة تهزم الشجاعة » .

أشارت إلى رأسها ، قائلة :

ـ ليس إذا ما اقترنت الشجاعة بالذكاء .

ثم أدت التحية العسكرية فى مرح ، مستطردة :

ـ والآن إلى أين يا سيادة العميد ؟

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا تستخدمى الألقاب الرسمية فى تعاملاتنا قط ، حتى فى لحظات المرح .. هذا يتنافى وقواعد الأمن .

أدت التحية العسكرية ثانية ، قائلة :

ـ كما تأمر يا سيادة العميد .

ثم مالت نحوه ، تسأله :

ـ والآن إلى أين ؟

أجابها فى هدوء :

ـ سنهبط فى أقرب مكان ممكن ، قبل أن تبدأ وسائل الدفاع الجوى فى العمل ..

سألته :

ـ وبعدها .

استرخى فى مقعده ، قائلا :

ـ وبعدها سنذهب لزيارة (مايكل فريمان) ، وأعتقد أنه لن يحمل بعدها اسم (فريمان) لفترة طويلة للغاية(*) .

(*) كلمة (فريمان) (Free Man) بالانجليزية تعنى الرجل الحر .

قالها ، وأسبل جفنيه فى هدوء ، وترك لزميلته مهمة قيادة الهليوكوبتر .. وبمنتهى الثقة ..

* * *

انتفض الطيَّار (مايكل فريمان) فى فراشه ، مع رنين جرس باب منزله ، فى الثانية والنصف صباحًا ، والتقط مسدسه المجاور للفراش فى حركة عنيفة ، فهتفت زوجته مذعورة :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار إليها ، قائلاً :

ـ أصمتى .. عودى إلى النوم فحسب .

كرَّرت فى توتر مذعور :

ـ ماذا حدث يا (مايكل) ؟

أجابها فى غضب صارم :

ـ عودى إلى النوم .

انكمشت فى فراشها مذعورة ، فى حين هبط هو إلى الطابق الأرضى ، وسأل فى توتر :

ـ من بالباب ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ المفتش (إدوارد) ، من المباحث الفيدرالية ، أريد التحدُّث مع (مايكل فريمان) .

قال (مايكل) فى حدة :

ـ ألا يصلح هذا الحديث فى الصباح ؟

أجابه (أدهم) :

ـ كلاً .. الأمر عاجل للغاية .

سأل (مايكل) متوترًا :

ـ وما الأمر الذى يستحق حديثًا عاجلا إلى هذا الحد ؟

أجاب (أدهم) فى حزم :

ـ الجنرال (أيدن) تم اغتياله الليلة .

اتسعت عينا (مايكل) ، وهو يهتف :

ـ اللعنة .. اغتالوا (أيدن) .

وأسرع يفتح الباب ، قائلاً :

ـ ومن فعل هذا ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ أنت ؟

اتسعت عينا (مايكل) مرة أخرى ، وانتبه إلى حقيقة الموقف بغتة ، فتراجع فى حركة سريعة ، ورفع مسدسه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير انقضَّ عليه بسرعة مذهلة ، وركل المسدس من يده ، ثم هوى على فكه وأنفه بلكمتين متعاقبتين ، وجذبه من منامته ، ليضرب به الجدار فى عنف ، ثم استقبل ارتدادته بلكمة كالقنبلة

فى معدته ، وأخرى فى أسنانه ، فسقط (مايكل) أرضًا ، وهو يقول فى ذعر :

- لماذا تفعل هذا ؟.. من أنت ؟!

جذبه (أدهم) من شعره فى قسوة ، وهو يسأله فى صرامة :

- أين ذهبت بالمختطفين ؟

هتف (مايكل) مذعورًا :

- أى مختطفين ؟

هوى (أدهم) على أنفه بلكمة أخرى ، مكررًا :

- أين ذهبت بهم ؟

بصق (مايكل) بعض الدم من بين شفتيه ، وسعل مرة أو مرتين ، قبل أن يلوّح بيده مستسلمًا ، ويقول :

- سأخبرك .. سأخبرك .. ولكن لا تضربنى مرة أخرى .

مطّت (جيهان) شفتيها ، قائلة :

- لم أتوقّع استسلامًا سريعًا إلى هذا الحد .

أجابها (أدهم) بالفرنسية :

- كل الخونة جبناء .

ثم عاد يسأل الطيّار بالانجليزية :

- أين أيها الوغد ؟!

كاد (مايكل) يبكى ، وهو يقول :

- خط سيرى الطبيعى كان ينتهى عند بلدة (تشارلزفيل) ، فى ولاية (فرجينيا) ، ولقد أنزلتهم هناك ، بالقرب من منزل كبير ، ولست أدرى ما إذا كانوا قد لجئوا إليه ، أم التقطتهم وسيلة نقل تالية إلى مكان آخر .

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، فرفع (مايكل) ذراعيه إلى وجهه ، هاتفًا :

- هذا كل ما أعرفه .. أقسم لك .

صمت (أدهم) بضع لحظات ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قبل أن يسأله :

- هل تبادل المختطفون أية أحاديث فى الطائرة ؟

قال (مايكل) مضطربًا :

- بالطبع .. كانوا يتحدّثون طوال الوقت .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

- هل التقطت شيئًا من أحاديثهم ؟!

ارتبك (مايكل) ، وهو يقول :

- كان اهتمامى كله منصبًا على قيادة الهليوكوبتر ، ولم ألتقط سوى بضع كلمات متفرّقة .. تحدّثوا عن زعيمة فاتنة ، يطلقون عليها اسم (السنيورا) ، وعن

المبالغ الضخمة التى تدفعها فى سخاء ، ثم حذَّرهم السفير المصرى من مغبة فعلتهم ، فسخروا منه ، وقالوا إن صوته سيضيع ، وسط الزحام الشديد ، عندما يصلون إلى وجهتهم .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يردِّد :

ـ الزحام الشديد ؟!.. فهمت .

ثم هوى على فك (مايكل) بلكمة جديدة ، أسقطته فاقد الوعى ، وقال لزميلته فى حسم :

ـ هيا بنا .. من المؤكَّد أن زوجته قد اتصلت برجال الشرطة ، وسيصلون بعد قليل ، وليجدوا أمامهم صيدًا ثمينًا ، بعد أن أرسلنا تقرير خط سيره إلى المباحث الفيدرالية ، التى ستفهم اللعبة على الفور .

سألته (جيهان) ، وهى تدلف إلى جواره فى السيارة :

ـ هل توصَّلت إلى شىء ما خلال استجوابه ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو ينطلق بالسيارة ، فسألته فى لهفة :

ـ هل عرفت أين يحتفظون بالسفير ؟

سألها فى هدوء :

ـ ما أكثر المدن ازدحامًا فى (أمريكا) كلها ؟

أجابت بسرعة :

ـ (نيويورك) ، ثم استدركت هاتفة :

ـ آه .. هذا ما قصدوه إذن بضياع صوت السفير ، وسط الزحام الشديد !

أجاب فى حسم :

ـ بالضبط .

تراجعت متهالكة فى مقعدها ، قائلة :

ـ عظيم .. دعنا نحصل على قدر من النوم إذن ، ثم نلتقط (قدرى) من المنزل الآمن ، وننطلق فى الصباح إلى (نيويورك) .

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

يؤسفنى أن شيئًا من هذا لن يحدث يا زميلتى العزيزة ، فلن نلتقط (قدرى) من المنزل الآمن ، ولن ننطلق إلى (نيويورك) .. بل ولن يمكنك أن تنعمى بقسط ولو ضئيل من النوم فى الوقت الحالى ، فمهمتنا فى (واشنطن) لم تنته بعد .

قالت فى دهشة :

ـ لماذا ؟! .. ألم تتأكَّد من أن المختطفين يختفون فى (نيويورك) ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- إنه مجرد استنتاج . ثم إنه ما زال هناك مشتبه فيه . لم نستجوبه بعد .

سألته فى حيرة :

- ومن هو ؟

أجاب فى حزم ، وهو يزيد من سرعة السيارة :

- (جون بارك) صاحب ملهى (بلوكاتس) .. أعتقد أنه يعرف الكثير .. الكثير جدًا .

وانطلقت سيارته بسرعة أكبر ..

* * *

فرك المفتش (هانكس) عينيه فى إرهاق ، وغاص فى مقعده قليلا ، فى محاولة لتخفيف آلام ظهره ، وهو يقول لضابط الوثائق :

- اعتصر مخك يا رجل ، وابذل قصارى جهدك لاستعادة ملامح الرجل والفتاة ، وسيعاونك خبير الكمبيوتر على رسم صورة قريبة منهما .

تنهّد الضابط ، وهو يقول :

- الفتاة جميلة ، وكل الجميلات يتشابهن ، أما الرجل ، فأنا أحفظ ملامحه جيدًا .

تثاءب (هانكس) فى إرهاق ، وألقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الثالثة والربع صباحا ، قبل أن يقول :

- عظيم .. حاول أن تتعاون إذن مع خبير الكمبيوتر .

انهمك الضابط فى وصف ملامح (أدهم) لخبير الكمبيوتر ، فى حين أسبل (هانكس) جفنيه ؛ ليريحهما قليلا ، وعقله يراجع أحداث تلك الليلة للمرة العاشرة ..

وكانت هناك أحداث كثيرة تثير حيرته ..

من أبلغ الشرطة بمصرع الجنرال ، وأرسل خط سير طائرة (فريمان) إلى المباحث الفيدرالية ؟!.. من الرجل والفتاة ، اللذين اقترنت كل أحداث الليلة بوجودهما ؟!

ثم ما صلة مصرع الجنرال (أيدن) بالهجوم على (فريمان) ؟!..

ما العلاقة التى تربط بينهما ؟!

راح عقله المنهك يربط الأحداث بعضها ببعض ، حتى انتزعه من أفكاره صوت أحد رجاله ، وهو يقول :

- هنا جنرال من المخابرات المركزية ، يطلب مقابلتك يا سيّدى .

فتح (هانكس) عينيه فى صعوبة ، وهو يقول :

- دعه يدخل على الفور .

ثم التفت إلى فنى الكمبيوتر ، قائلا :

- هل رسمت ملامح الرجل ؟

أشار فنى الكمبيوتر إلى رسم واضح لوجه (أدهم

صبرى) ، على شاشة الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـ ها هو ذا ، ولكننا لم نتعرّفه بعد ، من خلال برنامج الـ ..

قاطعه صوت صارم ، يقول :

ـ اسمه (أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، فطالعهم رجل مهيب ، أشيب الشعر ، يرتدى زى جنرال بالجيش الأمريكى ، ويعقد حاجبيه الكثين ، مستطردًا :

ـ معذرة أيها السادة .. نسيت أن أقدّم لكم نفسى .. اسمى (تورنسول) .. الجنرال (جيمى تورنسول) (*) .

وكانت مفاجأة حقيقية .

* * *



(*) راجع قصة (عقارب الساعة) المغامرة رقم (١٠٥) .

٧ ـ الصخب ..

عقد (أدهم) حاجبيه فى شدة ، وهو يدلف مع (جيهان) إلى ملهى (بلوكاتس) ، فى تلك الساعة المتأخرة ، فقد بدا له المكان حقيرًا ، يكتظ بعدد هائل من البيض والزنوج ، فى هيئة زرية ، وقد انهمك بعضهم فى لعب البلياردو(*) ، فى الطرف القصى للمكان ، فى حين راح الآخرون يرقصون ، أو يتناولون أقداح الشراب ، على ضجيج موسيقى صاخبة ، تكاد تصمّ الآذان ..

وكان الدخان يغمر المكان كله ، كما لو أن قطارًا من قطارات الفحم القديمة قد توقّف فيه طويلاً ، ومرجله يعمل بكل قوته ..

(*) البلياردو : لعبة تتطلّب مهارة ودقة ، وتمارس على طاولة ذات سطح أملس مغطى بجوخ أخضر ، وباستخدام عصا طويلة ، وفى النوع الانجليزى منها يكون للطاولة أربعة جيوب عند الأركان ، واثنان فى منتصف الطول ، أما فى النوع الفرنسى ، فليس للطاولة جيوب ، وهى أصغر من طاولة البلياردو الانجليزى ..

وعند وصول (أدهم) و (جيهان) بملابسهما الأنيقة ، التفتت العيون كلها إليهما ، وانقلبت الشفاه فى استنكار ، أو حملت ابتسامات ساخرة مستنكرة ، جعلت (جيهان) تغمغم :

ـ هل تعتقد أن الحضور إلى هنا ، فى الثالثة والنصف صباحًا ، يعد قرارًا حكيمًا .

سألها فى حزم :

ـ هل أخافك هؤلاء الأوغاد ؟

أدارت عينيها فى وجوههم ، قبل أن تبتسم فى شىء من الجذل ، مجيبة :

ـ كلا بالطبع .. ربما يثيرون شيئًا من سخريتى أو شعورى بالشفقة أو الازدراء ، ولكن ليس خوفى أبدًا .

قالتها ، وتقدّمت معه فى اعتداد إلى الداخل ، والعيون كلها تتابعهما فى حذر ، حتى توقّف (أدهم) ، وقال فى صوت قوى ، محاولاً التغلب على صخب الموسيقى :

ـ أين أجد (جون بارك) ؟

تبادل بعضهم نظرة ساخرة ، قبل أن يتقدّم منه زنجى ضخم الجثة ، ويقول ساخرًا :

ـ هل تبحث عن (بارك) ؟

التفت إليه (أدهم) ، وسأله فى برود :

ـ هل تعرف أين هو ؟

مال الزنجى نحوه ، وكشف عن أسنانه الصفراء القذرة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعطينى ؛ لو أرشدتك إليه ؟

تطلّع (أدهم) إلى عينيه لحظة فى برود ، قبل أن يجيب :

ـ سأترك أسنانك كاملة وسليمة :

لم يفهم الزنجى العبارة فى البداية ، ثم أدركها بغتة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، واعتدل مكشرًا عن أسنانه ، قائلاً :

ـ أنت أيها الأبيض ستترك أسنانى كاملة وسليمة ؟! .. وهل تملك إصابتها بأدنى سوء ؟!

قال (أدهم) بابتسامة ساخرة :

ـ هل تحب أن تجرّب ؟

صرخ الزنجى الضخم فى ثورة :

ـ هل تجرؤ ؟!

صمتت الموسيقى بغتة ، مع آخر حروف صرخته ، وخُيّل لـ (جيهان) أنها قد أصيبت بصمم مباغت ، مع الصمت الرهيب ، الذى ران على المكان ، ورواده جميعهم ينقلون أبصارهم بين الزنجى الثائر ، و (أدهم) الذى يقف أمامه فى برود ، قبل أن يندفع الزنجى مستطردًا :

- فليكن أيها الأبيض .. لن أكتفى بتحطيم عظامك فحسب ، وإنما سأمزّق كرامتك أيضا .. سأسحقك سحقًا أمام الجميع ، ثم أستولى على رفيقتك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

- يا له من قول سهل !.. إنك لا تستطيع حتى هزيمة رفيقتى هذه ، التى تخطّط للاستيلاء عليها .

صرخ الزنجى :

- أنا لا أستطيع ؟!.. أنا ؟!.. سأريك ما يمكننى أن أفعله .. سأمزّقكما معًا .

قالها ، وانقضّ على (أدهم) كثور هائل ، إلا أن هذا الأخير وثب جانبًا فى خفة ، وهو يقول لـ (جيهان) بالعربية :

- إنه لك .

هتفت (جيهان) ، وهى تقفز عاليًا ، وتستقبل الزنجى بركلة كالقنبلة فى معدته :

- على الرحب والسعة .

شهق الرجل فى ألم ، وانثنى كطود ينهار ، ولكنها دارت حول نفسها فى قوة ورشاقة ، وحطّمت أنفه بركلة ثانية ، ثم قفزت لتضربه فى صدره بقدميها معًا ، قبل أن تدور دورة رأسية فى فراغ الملهى ، وتحطّم أسنانه

بكعب حذائها ، وتهبط على قدميها ، قائلة فى سخرية :

- كل هذا دون أن أخرج يدىّ من جيبىْ معطفى .

اتسعت العيون كلها فى ذهول وذعر ، عندما سقط الزنجى الضخم فاقد الوعى ، فى حين التفت (أدهم) إلى شخص آخر ، وسأله فى صرامة :

- أين (جون بارك) ؟

أشار الرجل بسبّابة مرتجفة إلى أعلى ، قائلا :

- هناك .. فى حجرة التحكّم الموسيقى .

رفع (أدهم) عينيه إلى حيث يشير الرجل ، ولمح زنجيًا يعدو بكل قوته ، محاولاً الفرار من الباب الخلفى ، فهتف ، وهو يندفع نحو الحجرة العلوية :

- الممر الخلفى يا (جيهان) .

قالها ، ووثب درجات السلّم وثبًا ، وانطلق يعدو خلف الزنجى ، الذى قفز عبر الباب الخلفى ، وجرى فى الممر ، ثم قفز داخل سيارة صغيرة ، وأدار محرّكها ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، وهو يهتف :

- لماذا يسعيان خلفى ؟.. ماذا يريدان منى ؟

برزت أمامه (جيهان) فجأة ، وهى تصوّب إليه مسدسها ، فهتف :

- اللعنة !

وانحرف بالسيارة نحوها فى حركة حادة ، وهو ينحنى داخلها ، فانطلقت رصاصاتها من المسدس المزوّد بكاتم للصوت ، واخترقت زجاج السيارة ، التى اندفعت نحوها مباشرة ، فقفزت جانبًا ، هاتفة :

ـ لقد خدعنى الوغد .

ارتطمت السيارة بالجدار ، على قيد نصف المتر منها ، وانزلقت نحوها فى عنف ، فوثبت مرة أخرى ، واختلّ توازنها ، فتراجعت خطوة ، ثم سقطت على ظهرها ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها الزنجى خارج السيّارة ، وصوّب إليها مسدسه ، صائحًا فى عصبية :

ـ خسرت أيتها الحقيرة ، وستموتين مثل الـ ...

قاطعه صوت صارم ، فى نفس اللحظة التى قبضت على عنقه أصابع من فولاذ :

ـ إذن فقد جرؤت على أن تسبّها .

وقبل أن يدرك الزنجى ما حدث ، طار مسدسه من يده بضربة قوية ، ثم ارتفع جسده إلى أعلى ، وهوى فى عنف إلى أسفل ، فارتطم بالأرض ، وغامت الدنيا أمام عينيه ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يهتف :

ـ حذار أن تؤذينى .. إننى (جون بارك) ، زعيم عصابات الـ ...

أخرسته لكمة مباشرة فى أسنانه ، شعر بعدها بمذاق الدم فى حلقه ، وبصق اثنتين من أسنانه الأمامية ، والصوت الصارم يتابع :

ـ ألم تعتذر بعد ؟

دارت عينا (بارك) فى محجريهما ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ أعتذر ؟!

أصابت اللكمة التالية أنفه ، وزادته تفلطحًا ، فهتف مذعورًا :

ـ أنا أعتذر .. أعتذر ألف مرة .

نهضت (جيهان) مبتسمة فى سخرية ، وهى تقول :

ـ أعتقد أن هذا يكفى .

جذبه إليه (أدهم) فى عنف ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة بنظرة صارمة ، وهو يسأله :

ـ لماذا أرسلت قاتلاً محترفًا ؛ للتخلّص من الجنرال (أيدن) ؟.. من أمرك بهذا ؟

اتسعت عينا الزنجى فى رعب هائل ، وهو يقول :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .. لا يمكننى هذا أبدًا .

هزّه (أدهم) فى قوة ، قبل أن يسأله :

ـ إنها السنيورا .. أليس كذلك ؟!



هزّه (أدهم) فى قوة ، قبل أن يسأله :

ـ إنها السنيورا .. أليس كذلك ؟!..

اتسعت عينا الزنجى أكثر وأكثر ، وهو يهتف :

ـ هل تعرفها ؟

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة مخيفة ، وهو يقول :

ـ ولماذا تريد السنيورا التخلص من الجنرال (أيدن) ؟.. لماذا ؟!.

أجاب الزنجى مذعورًا :

ـ إنها لم تطلب التخلص منه ، ولكن أوامرها كانت محدودة .. فلو أشارت أجهزة التصنت ، المزروعة فى منزله ، إلى أن أمره قد انكشف ، يتمّ اغتياله على الفور .

سأله (أدهم) فى صرامة أكبر :

ـ هل رأيت هذه السنيورا من قبل ؟

أجاب فى اضطراب شديد :

ـ مرة واحدة .. رأيتها مرة واحدة ، فى بداية العمل .

همّ (أدهم) بإخراج الصورة من جيبه ، وعرضها عليه ، عندما أمسكت (جيهان) ذراعه فجأة ، قائلة :

ـ انظر !.. يبدو أن ليلتنا لن تنتهى بحق .

تطلّع إلى حيث أشارت ، ووقع بصره على ستة من العمالقة الزنوج ، الذين يسدون الممر من الطرفين ، وكل منهم يحمل فى يده سلسلة معدنية ثقيلة ، يلوّح بها فى حركة دائرية منتظمة ..

ولم يكد (بارك) يلمح هؤلاء العمالقة الستة ، حتى هتف :

- النجدة يا رجال .. النجدة .

ومع آخر هتافه ، انطلقت من حلوق العمالقة الستة صرخة غاضبة رهيبة ..

ثم اندفعوا من الجانبين ، بسلاسلهم الثقيلة ، نحو (أدهم) و (جيهان) ..

وبلا رحمة ..

* * *

نهض المفتش (هانكس) يصافح الجنرال (تورنسول) فى حرارة واحترام ، وهو يقول :

- جنرال (جيمى تورنسول) !.. آه .. دعنى أسترجع معلوماتى يا سيادة الجنرال .. أعتقد أنك المسئول الأوّل عن فرق القوات الخاصة .. أليس كذلك ؟

أومأ الجنرال (تورنسول) برأسه فى هدوء قائلاً :

- بلى .. وأضف إلى هذا أننى قادم على التو من (جنيف) فى (سويسرا) ، بعد معركة عنيفة مع هذا الرجل ، نجح خلالها فى تدمير فريق كامل من أفضل رجالنا .

ارتفع حاجبا (هانكس) فى دهشة ، وهو يهتف :

- فريق كامل .

ثم انعقد حاجباه ، مع استطراداته المتوترة :

- قولك هذا خطير للغاية يا جنرال ؛ فهو يعنى أن هذا الرجل محترف من الطراز الأوّل .

هزّ الجنرال (تورنسول) رأسه نفيا فى صرامة ، وهو يقول :

- خطأ أيها المفتش .. هذا يعنى أن المباحث الفيدرالية لا تصلح لتولّى مثل هذا الأمر .

حدجه (هانكس) بنظرة متوترة ، وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، قبل أن يقول :

- أهذا رأيك الشخصى ؟

أجابه (تورنسول) فى حدة :

- بالطبع .. لقد تعاملت مع الرجل بنفسى ، وواجهته مباشرة ، وأعرف كيف يتحرك ويعمل ، بل وكيف يقاتل ، ويمكننى أن أؤكد بمنتهى الثقة أنه لا قبل لكم بمواجهته .

قال (هانكس) بأسلوب استفزازى متعمّد :

- عجبا !.. يخيّل إلىّ أنك أشرت إلى هزيمتك على يديه .. أليس كذلك ؟

قال (تورنسول) فى غضب :

ـ فى عالمنا لا توجد هزيمة مطلقة يا رجل .. لقد انتصر ذلك المصرى ؛ لأننا كنا نجهل قدراته الحقيقية ، ولكننا بهذا اكتسبنا خبرة جيدة فى التعامل معه ، وفى المرة القادمة ..

قاطعهة (هانكس) فى حزم :

ـ لن تكون هناك مرة قادمة يا جنرال ؛ لأننا سنقضى عليه فى هذه المواجهة .

قال (تورنسول) فى حدة :

ـ ومن سيسمح لكم بهذا ؟

أشار (هانكس) بيده فى صرامة ، قائلاً :

ـ القانون يا جنرال (تورنسول) .. القانون الذى يمنع المخابرات المركزية الأمريكية من التدخُّل فى أية شئون داخلية(*) .. هل تذكر هذا القانون يا جنرال ، أم أن فشلك الأخير محا الكثير من ذاكرتك ؟!

احتقن وجه (تورنسول) فى شدة ، وهو يقول :

ـ كيف تجرؤ ..

قاطعه (هانكس) مرة أخرى فى صرامة .

ـ معذرة يا جنرال ، ولكن وقتى أضيق من أن أضيعه

(*) حقيقة .

فى مناقشات غير مجدية .

ازداد احتقان وجه (تورنسول) ، وهو يرمقه بنظرة غاضبة ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً فى غضب :

ـ اسمع يا هذا .. أنا أعرف ما يدور فى ذهنك بالضبط .. أنت تتصوَّر أن وجود المخابرات فى العملية سيحرمك قطف ثمرتها ، وسيجعل المباحث الفيدرالية تبدو وكأنها عاجزة عن الاضطلاع بالشئون الداخلية .. ولكن هذا خطأ .. إننا لا نسعى لسلبكم أية انتصارات ، ولا إلى قطف ثمرة لا تستحقَّها .. كل ما نسعى إليه هو الظفر بذلك الرجل .. دعنا نتعاون لنظفر به معًا ، فلن يمكنكم الظفر به وحدكم قط .

عقد (هانكس) ساعديه خلف ظهره ، وهو يجيب فى حزم شديد :

ـ إلى اللقاء يا جنرال .

تراجع (تورنسول) بحركة حادة، واشتعل الغضب فى ملامحه ، وهو يقول :

ـ أهذا قرارك النهائى ؟

لم يجب (هانكس) ، وهو يتطلَّع إلى عينيه بنظرة صارمة ، فهتف (تورنسول) :

ـ ستندم على موقفك هذا .. أقسم لك إنك ستندم .

واستدار ليغادر المكان فى عصبية محنقة ، ثم لم يلبث أن توقف ، واستدار إلى (هانكس) ، قائلاً فى غضب :

- عندما تذوق مرارة الهزيمة على يد (أدهم صبرى) ، ويتحطم غرورك الزائف على صخرة قوته وإصراره ، ويشارف عنادك الانهيار ، أنت تعرف أين تجدنى .

ابتسم (هانكس) فى سخرية ، قائلاً :

- اطمئن يا جنرال .. لن أحتاج إلى هذا قط .

قال (تورنسول) فى عنف :

- سنرى .

وصفق الباب خلفه فى قوة ..

ولثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، قطعه ضابط الوثائق ، وهو يغمغم :

- أظنه على حق .

استدار إليه (هانكس) بنظرة غاضبة ، فتابع فى سرعة :

- لقد رأينا كيف يعمل الرجل .

انعقد حاجبا (هانكس) فى شدة ، وعقله يدرس هذه العبارة جيدًا ..

لقد رأى بالفعل كيف يعمل (أدهم صبرى) ..

ومازال الانبهار يملأ نفسه ، حتى هذه اللحظة ..

مع كثير من القلق والخوف ..

ولكنه لن يسمح للمخابرات المركزية قط بقطف ثمار عمله ..

إنها عمليته ..

وسيمضى فيها حتى النهاية ..

وفى حزم ، استدار إلى خبير الكمبيوتر ، قائلاً :

- ابحث عن ملف باسم (أدهم صبرى) هذا .

ضرب الخبير أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وظهر على الشاشة اسم (أدهم) ، ثم تراصت تحته قائمة طويلة من المعلومات ، مع صورتين واضحتين له ، إحداهما لوجهه كاملاً ، والأخرى لجانب الوجه الأيسر ..

وفى قمة الشاشة ، ظهرت عبارة واضحة ، تقول :

- خاص للغاية .. محترف من الدرجة الأولى .. الفئة (ا) .

كانت هذه المصطلحات تعنى أن صاحب الصورتين شخص بالغ الخطورة ، وينبغى التعامل معه بكل الحذر والاهتمام ..

لذا ، فقد جلس (هانكس) أمام الكمبيوتر ، وراح يقرأ هذا الفيض من المعلومات ..

ومع كل سطر يمضى ، كان انبهاره يتضاعف ، ودرجة القلق والخوف عنده ترتفع ..

وترتفع .. وترتفع ..

* * *

غادر الجنرال (تورنسول) مركز المباحث الفيدرالية ، والغضب يشتعل فى جسده كله ، ويطلّ واضحًا من عينيه ، ومع أنفاسه الملتهبة ، التى حملت كل انفعالاته فى آن واحد ..

وفى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، راح ينطلق بسيارته ، عبر شوارع (واشنطن) الواسعة ، وهو يقول لنفسه :

ـ يا للغبى !.. لا يمكن إدراك مدى ضعفه وسخافته أمام خصمه .. سيفسد كل شىء بتدخله فى أمر يفوق قدراته .

ومطّ شفتيه فى حنق ، هاتفًا :

ـ ويتحدث عن القانون !.. اللعنة عليه وعلى ذلك القانون الحقير السخيف .. لست أدرى من وضعه أو أشار بذلك !!.. كيف يمنعوننا من التدخل فى الأمور الداخلية ؟!.. من غيرنا يمكنه حسم المشكلات فى سرعة ودقة ؟!.. من ؟!.

ولوّح بيده ، وهو يزيد من سرعة السيارة ، مستطردًا :

ـ ولكننى لن أسمح له بإفساد الأمر .. لن أسمح له أبدًا .

واصل انطلاقه بالسيارة ، حتى تجاوز حدود المدينة ، واتجه مباشرة نحو معسكر كبير ، على مسافة عشرة كيلومترات فحسب من العاصمة ، وتوقّف أمام بوّابته ، وقال لحارسها بلهجة آمرة :

ـ افتح البوّابة يا (ماك) .

ألقى الجندى نظرة عليه ، قبل أن يهتف :

ـ جنرال (تورنسول) .. حمدًا لله على سلامتك يا سيّدى .. أهو تفتيش مفاجئ ، أم ..

أجابه (تورنسول) ، وهو يقاطعه محنقًا :

ـ لا تسأل يا (ماك) .. هل نسيت ما علمتك إياه ؟

ارتبك الجندى ، وأسرع يفتح البوّابة أمام سيارة (تورنسول) ، قائلاً :

ـ بل أذكره كله يا جنرال .. معذرة .

انعقد حاجبا (تورنسول) فى غضب أكثر ، وهو يهتف :

ـ بل لا تذكر حرفًا واحدًا منه يا (ماك) ، وإلا ما فتحت البوّابة أمامى بهذه البساطة ، دون أن تتأكد من شخصيتى .

ارتفع حاجبا الجندى فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أتأكد من شخصيتك ؟!.. ولكنك قائدنا يا جنرال ، وكلنا نـ ...

قاطعه فى غضب صارم :

ـ المعرفة الشخصية لا تكفى أيها الغبى .. لابد أن تراجع أوراقى فى كل مرة .. هل تفهم ؟

أومأ الجندى برأسه ، وقد تصاعد توتره إلى ذروته ، ومدّ يده إلى الجنرال ، قائلاً :

ـ أوراقك يا جنرال .

أبرز الجنرال (تورنسول) أوراقه ، وناوله إياها ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا ما ينبغى أن تفعله فى كل مرة ، حتى لا يخدعك شخص متنكر فى هيئتى ذات مرة ، وينجح فى الدخول إلى المعسكر .

ابتسم الجندى ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكنه انتحال شخصية آخر بهذه الدقة يا جنرال .

هتف (تورنسول) فى حدة :

ـ هذا ما تظنه .. نفذ الأوامر فحسب ، ولا تقحم آراءك الشخصية فى الأمر .. هل تفهم ؟

ازدرد الجندى لعابه متوترًا ، وهو يعيد إليه الأوراق ، قائلاً :

ـ أفهم يا جنرال .. أفهم .. تفضّل .. أوراقك كلها سليمة .

انطلق (تورنسول) بسيارته إلى داخل المعسكر ، فالتقط الجندى سمّاعة الهاتف الداخلى ، وطلب رقمًا خاصًا ، قبل أن يقول :

ـ إنه أنا يا سيّدى الملازم .. نعم .. أعلم أن الوقت متأخر للغاية ، ولكن الجنرال (تورنسول) هنا .. نعم .. هنا يا سيادة الملازم ، وهو متوتر للغاية أيضًا ، ولست أدرى ماذا يريد بالضبط ؟

أغلق الملازم الخط ، واندفع ليستقبل الجنرال (تورنسول) ، وهو يؤدى التحية العسكرية فى احترام ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا سيّدى الجنرال .. أى رياح طيبة ..

قاطعه (تورنسول) فى صرامة ، وهو يغادر سيارته :

ـ بل هى رياح خبيثة يا رجل .. قل لى : ألديك فريق مستعد للقتال فورًا .

أجابه الملازم فى سرعة :

- بالطبع يا جنرال .. لدى فريق (مانسون) الصغير ، الذى يضمه مع (جاك) و (ألبرت) .. أنت تعلم أنهم أقوى رجالنا ، وهم مستعدون دومًا للقتال فى أية لحظة .

قال (تورنسول) فى حزم :

- عظيم .. استدع ثلاثتهم على الفور .

هتف الملازم فى دهشة :

- الآن ؟!

أجابه فى غضب :

- نعم .. الآن .. أخبرهم أن الجنرال (تورنسول) يريدهم لمهمة خاصة وعاجلة ، وبالغة الأهمية .

سأله الملازم فى دهشة :

- هل سيواجهون جيشًا من الإرهابيين ؟

أجابه (تورنسول) في حزم :

- بل سيواجهون رجلاً واحدًا ، يساوى جيشًا بأكمله .. رجل يُدعى (أدهم صبرى) ..

وكانت دهشة الملازم هائلة ..

هائلة بحق .

* * *

٨ - الفريسة ..

عندما انقضَّ العمالقة الستة على (أدهم) و (جيهان) ، من جانبى الممر الضيق ، كانوا يتصوَّرون أن الفوز بالفريسة سهل ميسور ؛ فهم ستة فى مواجهة اثنين ، وهم عمالقة أشدَّاء ، فى مواجهة رجل وامرأة ، يرتديان ثيابًا فاخرة ، تؤكّد أنهما ينتميان إلى طبقة مرفَّهة ، لم تعرف قتال الشوارع قط ، فى أية مرحلة من مراحل حياتها ..

ولهذا كان للمفاجأة عليهم أثر مذهل ..

لقد هتف (أدهم) ، وهو يواجه خصومه الثلاثة :

- هل تحتاجين إلى مساعدة ؟

أجابته (جيهان) ساخرة :

- من أجل ثلاثة فحسب ؟!.. لا ريب فى أنك تمزح .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان أحد الزنوج يهوى عليها بالسلسلة المعدنية الثقيلة فى يده ، فمالت جانبًا فى خفة ، وتفادت الضربة القاتلة ، متابعة :

- صحيح أنهم يحملون أسلحة بدائية .

ووثبت تركل الرجل فى أنفه ، مستطردة :

- ولكنهم لا يجيدون استخدامها .

تراجع الرجل مع الضربة ، وارتطم بزميليه ، فى نفس اللحظة التى تراجع فيها (أدهم) فى رشاقة ، أمام ضربة عملاق آخر ، ثم أمسك طرف السلسلة الثقيلة ، قائلاً فى سخرية :

- صدقت يا عزيزتى .

ثم جذب الرجل إليه ، فى حركة عنيفة مباغتة ، واستقبله بلكمة كالقنبلة فى أسنانه مباشرة ، مستطردًا :

- إنهم لا يجيدون استخدامها .

وانحنى ، متفاديًا ضربة سلسلة أخرى ، ثم وثب يغوص بقدمه اليسرى فى معدة صاحبها ، الذى انثنى فى ألم ، فأجبرته ركلة من القدم اليمنى على الاعتدال ، والتراجع فى عنف ، ليستقبل ضربة سلسلة زميله ، الذى فوجئ بنفسه يضرب صديقه ، فصاح :

- اللعنة !.. أنا لم أقصد ..

كان ينوى مخلصًا إتمام عبارته ، إلا أن قبضة (أدهم) أخرسته بغتة ، وهى تحطم اثنتين من أسنانه الأمامية ، ثم انطلقت القبضة الأخرى لتحوّل أنفه المفلطح إلى كومة من اللحم المفرى ، وتسقطه فاقد

الوعى ، إلى جوار زميليه ..

أما (جيهان) ، فقد وثبت فى رشاقة ، لتتفادى هجوم الرجال الثلاثة ، وصاحب الأنف المحطَّم منهم يصرخ غاضبًا :

- اقتلوا هذه اللعينة .. اسحقوها .

مالت يمينًا ، متفادية ضربة سلسلة قوية ، ثم يسارًا ، للفرار من الأخرى، وبعدها انقضّت على الرجلين ، هاتفة :

- عار عليكم أيها الرجال .

وحطّمت أنف الأوّل بلكمة كالقنبلة ، ثم ركلت الثانى بين قدميه ، وقفزت تتفادى ضربة بالغة القوة من سلسلة الثالث ، مستطردة :

- كيف تهاجمون امرأة ضعيفة ؟

وهبطت على قدميها لتلكم الثالث لكمتين سريعتين ، فى أنفه وفمه ، فدار حول نفسه ، وعيناه تختفيان فى أعماق جمجمته ، قبل أن يهوى تحت قدميها فاقد الوعى ، وهى تضيف :

- مثلى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- كنت أعلم أنك ستفعلينها .

ثم انتبه فجأة إلى غياب (بارك) ، فهتف :

ـ لقد هرب الوغد .
استدارا معًا إلى منتصف الممر ، ورأياه يعدو عائدًا إلى الملهى ، فاندفع (أدهم) خلفه ، وهو يقول لـ (جيهان) :
ـ انتظرى أمام السيارة ، عند الباب الأمامى .
ترددت لحظة ، قاومت خلالها رغبتها فى مواصلة القتال إلى جواره ، ثم لم تلبث أن أجابت ، وهى تسرع لتنفيذ الأمر :
ـ سمعًا وطاعة .
انطلق هو خلف (جون بارك) ، وعاد إلى الملهى ، ورأى الزنجى يقفز داخل المكان ، وهو يهتف فى رعب :
ـ النجدة !.. إنه يطاردنى .. أنقذونى .. أنقذونى .
تخلّى ثلاثة من العمالقة عن لعب البلياردو ، وسدّوا الطريق أمام (أدهم) بأجسادهم الضخمة ، وقال له أحدهم فى صرامة :
ـ إلى أين يا صاح ؟
هوى (أدهم) على فكه بلكمة كالقنبلة ، وهو يقول :
ـ خلف (بارك) أيها الوغد .
ثم التقط عصا البلياردو من يده ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ، وهوى بها على رأس الثانى ، لتتحطم فى عنف ، وهو يستطرد :

ـ وأكره إضاعة الوقت فى هذا .. لذا ..
وقفز يدور حول نفسه فى رشاقة ، ليركل الثالث فى فكه ، ويزيحه جانبًا ، وهو يضيف :
ـ أفسحوا الطريق ..
اتسعت عيون روّاد الملهى فى ذعر وذهول ، عندما سقط الرجال الثلاثة فى لحظات ، وواصل (أدهم) انطلاقه نحو (بارك) ، الذى قفز ليغادر الملهى ، إلا أن (أدهم) قطع أربعة أمتار كاملة بقفزة واحدة ، ليقبض على عنقه فى قوة ، قائلاً :
ـ مهلاً أيها الوغد .. الفرار ليس بهذه السهولة .
صرخ (بارك) فى رعب :
ـ اتركنى .. لست أعرف شيئًا .. اتركنى .
دفعه (أدهم) أمامه فى قسوة إلى خارج الملهى ، وهو يقول فى صرامة :
ـ سأتركك أيها الوغد ، ولكن بعد أن تجيب سؤالى .
وألقاه فى عنف فوق مقدّمة سيارته ، فهتفت (جيهان) معترضة :
ستتلف مقدّمة السيارة .
ولكن (أدهم) تجاهلها تمامًا ، وهو يخرج من جيبه صورة (سونيا جراهام) ، ويضعها أمام عينى (بارك) ،

وهو يسأله بلهجة مخيفة ، تكفى لتجميد الدم فى عروق أشجع الرجال:

ـ أهذه هى السنيورا ؟

تطلع (بارك) إلى الصورة فى ذعر ، قبل أن يجيب:

ـ إنها حتى لا تشبهها .

هتف (أدهم) :

ـ ماذا تقول ؟

رفع الزنجى يده ليحمى وجهه ، صائحًا فى ذعر وانهيار :

ـ أقسم لك إنها ليست هى .. أقسم لك .. أقسم لك ..

والواقع أن الجواب كان مفاجأة لـ (أدهم) ..

مفاجأة قاسية ..

للغاية ..

* * *

شدّ المحترفون الثلاثة ، (مانسون) و (جاك) و (ألبرت) ، قامتهم أمام قائدهم الجنرال (تورنسول) ، الذى رماهم بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

ـ المفترض أن ثلاثتكم من أفضل رجالنا ، فى فرق القوات الخاصة ، التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية .. بل أفضلهم على الإطلاق ، ما آخر عملية قمتم بها ؟!

أجابه (مانسون) فى صوت قوى :

ـ عملية (بيروت) يا سيادة الجنرال .

سأله (تورنسول) فى صرامة :

ـ وما نسبة النجاح فيها .

ابتسم (مانسون) فى زهو ، قائلاً :

ـ مائة فى المائة يا جنرال ..

أومأ (تورنسول) برأسه فى اهتمام ، ثم عاد يشدّ قامته ، فى وقفته العسكرية الصارمة ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هذه هى النسبة التى أطلبها ، فى العملية الجديدة ، التى سأسندها إليكم الآن .

وتنهّد فى قوة ، قبل أن يستطرد :

ـ هناك رجل مصرى ، أريد مكم أن تقضوا عليه تمامًا .

بدت الدهشة على وجوههم ، وهم يتبادلون نظرة صامتة ، قبل أن يعبّر (مانسون) عن شعورهم ، قائلاً :

ـ رجل واحد يا جنرال ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يجيب :

ـ نعم .. رجل واحد .. رجل حطّم بمفرده فريق (بيرت) كله .

اتسعت عيونهم فى دهشة مذعورة ، ثم لم تلبث أن ضاقت فى غضب ، و (ألبرت) يسأل :

ـ من هذا الرجل يا جنرال ؟

أجابه (تورنسول) فى حزم ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويسير أمامهم جيئة وذهابًا :

ـ ستعرفون كل شىء عنه .. لقد طلبتكم فى هذه الساعة لألقنكم كل ما أعرفه بشأنه ، حتى تكون مواجهتكم معه مدروسة ومحسوبة ، تحاشيًا للوقوع فى أية أخطاء ، قد يؤدى إليها عدم تقديركم لقدراته .. سأشرح لكم كل ما يخصه .. طبيعته .. أسلوبه .. قدراته .. وسائله ، وعلى الأخص ، مهاراته الفذة المتعدِّدة ، التى تجعل منه خصمًا لا يستهان به .. وانتبهوا إلى العبارة الأخيرة جيدًا .. لا تستهينوا بخصمكم أبدًا ، مهما بدا لكم هادئًا مستكينًا ، فهو ثعلب ماكر ، وأسد جسور ، وفهد متوثِّب ، لا يؤتمن جانبه قط .. ولو أنكم تمتلكون مزية ونقطة تفوق عليه ، فهى أنكم تعملون على أرضكم ، وتحت غطاء من الشرعية ، يتيح لكم حرية حركة يفتقد هو إليها .. ثم إنكم أنتم الذين تبحثون عنه ، وليس هو الذى يبحث عنكم .. أى أن زمام المبادرة فى أيديكم ، وعامل المفاجأة ملك يمينكم ، فلا تتنازلوا عن مزيتكم قط .. هل تفهمون ؟!

أومئوا برءوسهم إيجابًا ، وهم يستمعون إليه فى اهتمام وانتباه شديدين ، فتابع بلهجته الصارمة الحازمة :

ـ سأمنحكم كل الصلاحيات اللازمة ، مع أحدث ما ابتكرته تكنولوجيتنا من أسلحة ومعدات ، وكل ما أطلبه منكم هو أن تعملوا بأقصى طاقتكم للظفر بالفريسة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ فلقد أقسمت ألا يهدأ لى بال ، حتى أسحق ذلك الرجل .

والتقط نفسًا عميقًا ، ليملأ به صدره القوى ، قبل أن يدير عينيه فى وجوههم ، قائلاً :

ـ بقى أن تعرفوا اسم خصمكم ، الذى ستقاتلون للظفر به .. واسمه هو (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

قالها بنبرة تحمل كل الحزم ..

وكل المقت ..

* * *

تثاءبت (جيهان) فى إرهاق شديد ، وألقت نظرة على (قدرى) ، الذى استغرق فى نوم عميق ، فى الأريكة الخلفية لسيارة (أدهم) ، التى نطلق بها هذا الأخير ، عائدًا إلى (نيويورك) ، ثم تطلعت إلى ساعتها بعينين نصف مغلقتين ، وهى تغمغم :

ـ لم يعد بإمكانى المقاومة .. سأستغرق فى النوم قليلاً .

أجابها (أدهم) فى هدوء :

- هذا أفضل ؛ حتى تستعيدى نشاطك جيدًا ، عندما نصل إلى (نيويورك) ، فأظننا سنحتاج إلى كل ذرة منه هناك .

أسبلت جفنيها فى تهالك ، وهى تسأله :

- وماذا عنك ؟.. ألا تشعر برغبة فى النوم ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- إننى أقاوم هذا .

هزت رأسها ، قائلة :

- صدقنى .. لم أر فى حياتى كلها إرادة تفوق إرادتك ، ولا إصرارًا يمكنه أن يتفوّق على إصرارك .

غمغم :

- أشكرك .

تثاءبت مرة أخرى ، وتركت رأسها يسترخى على مسند المقعد ، وهى تسأله بصوت نصف نائم :

- أما زلت تشعر بالحزن ؛ لأن السنيورا ليست (سونيا جراهام) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- ليس حزنًا كما تتصوّرين ، وإنما هو شعور بخيبة الأمل .

سألته فى تهالك :

- هل كنت تتمنى لو أنها (سونيا) ؟.. هل تعتقد أن القتال معها سيكون أفضل من القتال مع غيرها ؟!

ابتسم فى أسى ، قائلًا :

- بل القتال مع (سونيا جراهام) هو أشرس قتال يمكننا مواجهته ، ولكن فكرة بقائها على قيد الحياة ، كانت تبعث فى نفسى أملًا ، ينشده قلبى منذ فترة طويلة .

غمغمت :

- عجبًا !.. كنت أظنك تكرهها .

تنهّد ، قبل أن يجيب :

- هذا صحيح ، ولكن وجودها على قيد الحياة كان يعنى أنها نجت من انفجار جزيرتها ، ويعنى بالتالى أن ابنى منها ما زال على قيد الحياة .

قالها ، وعقله يستعيد تلك اللحظات الرهيبة ، التى لم تفارق ذاكرته قط ..

صرخات (سونيا) ..

والانفجار ..

ومصرعها مع ابنه ، فى تلك الجزيرة ، التى اتخذتها مقرًا لمنظمتها (سناك)(*).

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

وفى حلقه ، تكوّنت غصة كبيرة ، اختنق بها فى مرارة ..

كم تمنى لو أن السنيورا هى (سونيا جراهام) بالفعل ..

كم تمنى لو أنها لم تمت ..

وما زالت الحيرة تملأ نفسه ، عندما كشف أنها ليست هى ..

ما زال يشعر بأن (سونيا) وراء كل هذا ..

إنه يعرف أسلوبها ..

وطبيعتها ..

ومنذ بدأ صراعه مع المنظمة الجديدة ، وهو يشعر بوجودها ..

وكل خطوة يخطوها تشير إليها ..

هى وحدها كان يمكن أن تنزعج إلى هذا الحد ، عندما كشفت أمره ، من خلال بصمته ، فى (جنيف) (*) ..

هى وحدها يمكن أن تعود لاستخدام رمز الأفعى لمنظمتها الجديدة ..

(*) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم (١٠٥) .

هناك رابطة عجيبة ، لا يمكنها مقاومتها ، بينها وبين الأفعى ..

رابطة طبيعية ..

فكل منهما أفعى ، تبث سمومها فيما حولها ..

كل منهما ناعمة ، جميلة المظهر ، ولكن الاقتراب منها يحمل الخطر ..

كل الخطر ..

ثم إن السؤال الحقيقى هو : لو أن السنيورا ليست (سونيا جراهام) ، فمن تكون ؟!..

من ؟!..

كان مستغرقًا فى أفكاره ، عندما تمتمت (جيهان) فجأة :

ـ يا إلهى !.. لم أتصوّر أننى سأراها قط .

التفت إليها ، يسألها فى حيرة :

ـ من تعنين ؟

ابتسمت فى شحوب ، قائلة :

ـ بل قل ما هى ؟

ثم أشارت إلى الأفق ، مجيبة :

ـ الشمس .. لم أتصوّر أن هذه الليلة ستنتهى أبدًا .

قالتها ، واسترخت فى مقعدها أكثر وأكثر ..



وراحت فى سبات عميق !..

أما هو ، فواصل قيادة السيارة ، وهويكرِّر السؤال فى أعماقه ..

وراحت فى سبات عميق ..

أما هو ، فواصل قيادة السيارة ، وهو يكرِّر السؤال فى أعماقه ..

من تكون السنيورا ؟!..

من ؟!..

* * *

انطلقت ضحكة عالية عابثة ، من بين شفتى السنيورا الجميلتين ، وهى تزاول رياضتها الصباحية ، فى ساعة مبكرة ، وتستمع إلى مساعدتها ، التى بدت عليها الدهشة ، وهى تقول :

ـ عجبًا !!.. كنت أتصوَّر أن الأخبار ستزعجك يا سنيورا .

ضحكت السنيورا مرة أخرى ، قبل أن تقول :

ـ على العكس تمامًا يا صغيرتى .. هذه الأخبار تتفق تمامًا مع ما كنت أتوقَّعه .

تضاعفت دهشة المساعدة ، وهى تقول :

ـ عجبًا !.. هل كنت تتوقَّعين أن (أدهم صبرى) سيبذل كل هذا النشاط فى ليلة واحدة ؟!.. لقد توصَّل إلى الجنرال (أيدن) ، و (بارك) ، وعرف أن المختطفين يختبئون فى (نيويورك) . هل توقَّعت أن يفعل شخص ما كل هذا ، فى ساعات محدودة .

ارتسمت ابتسامة جذلة على شفتى السنيورا ، وهى تقول :

- هذا هو (أدهم صبرى) الذى أعرفه .

تراجعت المساعدة فى دهشة أكبر ، وهى تحدّق فيها ، قبل أن تقول :

- ولكن ، ألا يفسد هذا خططنا كلها ؟

هزّت السنيورا رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

- على العكس .. إنه يتفق معها تمامًا .

سألتها فى اهتمام حائر :

- ولكن كيف يا سنيورا ؟! .. ما دام (أدهم صبرى) قد توصّل إلى المكان ، الذى يختبئ فيه المختطفون ، فلا ريب أنه سيتوصّل إليهم ، إن عاجلاً أو آجلاً ، وسيخلص السفير من بين أيديهم .

أومأت السنيورا برأسها إيجابًا ، وهى تقول بابتسامة كبيرة :

- بالتأكيد .

تنهّدت المساعدة فى حيرة ، قائلة :

- ألن يعنى هذا أننا فشلنا ؟

أطلقت السنيورا ضحكة عالية ، قبل أن تقول :

- بل يعنى فقط أنك لست بالذكاء الكافى لفهم ما يحدث حولك .

عقدت المساعدة حاجبيها فى ضيق ، والسنيورا تتابع فى ثقة ودهاء :

- يبدو أنك نسيت أن عملية السفير ليست عمليتنا الأساسية ، وإنما هى مجرّد طعم ، لإبقاء (أدهم صبرى) ، فى نيويورك حتى يستعد (توماس) وفريق القتلة ، لأداء مهمتهم الرئيسية ، والقضاء عليه .

وضحكت مرة أخرى ، مستطردة :

- والآن توصّل (أدهم) إلى كل ما أردت له أن يتوصّل إليه ، وأصبح عليه أن يعود إلى (نيويورك) ، للبحث عن المختطفين .

وضاقت عيناها ، وهى تستطرد :

- ولكننى أعدك أن مهمته هناك لن تكون سهلة أو هينة .. لن تكون كذلك أبدًا .

قالتها ، وعادت تطلق ضحكة أخرى طويلة مبحوحة .. ضحكة جعلتها تبدو بالفعل أشبه برمز منظمتها .. بالأفعى ..

* * *

« مستحيل ! .. »

نطق (بل هايدن) ، أحد القتلة المحترفين الكلمة ، وهو يلقى ملف (أدهم صبرى) أمامه ، على مائدة

الاجتماعات ، فى مقر اتحاد القتلة ، قبل أن يستطرد فى شىء من الانفعال :

ـ هذا الملف كله يبدو لى أشبه برواية خيالية ، حول بطل أسطورى .. وهى ليست حتى بجودة أعمال (هوميروس)(*) .. على الأقل هو لم يدع أن أعماله حقيقة ، وإنما وضعها كنموذج للخيال والانطلاق فى عصره .

أجابه (توماس) فى حزم :

ـ يسعدنى أن ثقافتك سمحت لك بمعرفة (هوميروس) وأعماله يا (بل) ، ولكن ما ينبغى أن تدركه هو أن كل ما جاء بهذا الملف حقيقى تمامًا .

احتقن وجه (بل) ، وهو يقول :

ـ حقيقى تمامًا ؟!.. أى قول هذا يا (توم) ؟!.. هل تصدق أنه يوجد رجل فى هذا العالم يجيد استخدام كل أنواع الأسلحة ، وكل وسائل القتال ، وعدد لا حصر له

(*) هوميروس : أعظم الشعراء الإغريق ، كان وجوده محل جدل فى القرن التاسع عشر ، ولكن الدراسات الحديثة ترجح أنه عاش قبل عام ٧٠٠ ق . م . ، ويقال إنه كان أعمى ، ومن أشهر أعماله (الإلياذة) و (الأوديسا) ، وهما من روائع الأدب العالمى .

من اللغات الحية ، ويمتلك قدرة مذهلة على انتحال أية شخصية يشاء ، دون أن ينكشف أمره ؟!.. يا للسذاجة !.. حتى (نيتشة) نفسه ، لم يبلغ هذا الحد بأفكاره (*)

قال (توماس) فى حدة :

ـ كفى يا (بل) .. لسنا هنا بصدد الدخول فى مناقشات أدبية أو فلسفية ، وإنما اجتمعنا لتحديد موقفنا من العملية الجديدة .. هل سنتخذ قرارنا باغتيال ذلك الشخص أم لا ؟.. وهل سنقبل عرض السنيورا بالعمل فى منظمتها ، أم نستمر فى العمل لحسابنا ؟

أجابه القاتل الآخر (آرثر ميلوسكى) :

ـ لو أن ما جاء بملف هذا الرجل حقيقى ، فالقضاء عليه لن يكون سهلاً أبدًا .

قال (توماس) :

ـ هذا صحيح ، ولهذا كان المبلغ الباهظ .

(*) (فريد ـ رخ فيلهلم نيتشة) : (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠) : فيلسوف ألمانى عبقرى ، أصبح أستاذًا لأصول اللغة عام ١٨٦٩ م ، ولكنه أصيب بالجنون عام ١٨٨٩ م ، هاجم الحضارة الغربية المسيحية ، ونادى بإحداث انقلاب فى كل ما تعترف به من قيم أخلاقية ، وبارتقاء الإنسان روحًا وجسدًا ، فى نظرية عرفت باسم (نظرية السوبر ـ مان) .

مطَّ (أندريه كال) شفتيه ، وقال :

- إنه يستحق بذل الجهد .

أدار (توماس) عينيه فى وجوههم ، قائلاً :

- إذن فأنتم توافقون على تولّى الأمر .

أجابه (تيد برونسون) :

- بالتأكيد .. من النادر أن يحظى تنظيمنا بصفقة كهذه .

سأله (توماس) :

- وماذا عن العمل لحساب السنيورا ؟

تبادلوا جميعًا نظرات متسائلة ، قبل أن يقول (تونى ويلكوكس) :

- دعنا نتخلّص من (أدهم صبرى) هذا أولاً ، وبعدها نناقش هذه النقطة .

قال (توماس) :

- عظيم .. سنعلن السنيورا إذن ببدء تنفيذ العملية ، وسنضع خطتنا ، ونبدأ العمل على الفور ، دون إبطاء .

سأله (تشارلز دار) :

- وهل سننطلق جميعًا لتنفيذ المهمة ، كما طلبت السنيورا ؟

صمت (توماس) بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه نفيًا ، قائلاً :

- هذا أمر غير منطقى .. إننا جميعًا من المحترفين ، ومهما بلغت قوة وبراعة (أدهم صبرى) هذا ، فنصف عددنا يكفى لسحقه سحقًا ..

لا بأس من أن نخبر السنيورا أننا سنتولّى المهمة جميعًا ، ولكننا فى الواقع سننتخب من بيننا خمسة لأداء المهمة ، وهذا أضخم عدد من القتلة المحترفين ، تم استخدامه عبر التاريخ ، للتخلّص من رجل واحد ..

ودار بعينيه فى وجوههم ، مستطردًا :

- سنسند المهمة إلى (آرثر ميلوسكى) ، خبير التفجير ، و (ألفريد جاكسون) ، خبير القتال والكاراتيه ، و (تشارلزدار) و (تونى ويلكوكس) ، خبيرا الأسلحة ، وأخيرًا (جيسون تانج) ، خبير السموم والكيماويات .. أعتقد أنكم فريق متكامل ، لا يمكن أن يصمد أمامه أقوى الرجال .

وابتسم ، مضيفًا :

- حتى ولو كان (أدهم صبرى) هذا .

قالها ، وهو يضع توقيعه على ملف (أدهم) ..

وكان هذا التوقيع بمثابة النطق بالحكم .. حكم الإعدام .

* * *

٩ - قنبلة ..

تسللت أشعة شمس (نيويورك) الدافئة، عبر زجاج سيارة (أدهم)، لتغمر وجه (جيهان)، التى تململت لحظة، ثم رفعت يدها لتحجب وجهها، وهى تفتح عينيها، مغمغمة :

- هل وصلنا إلى (نيويورك) ؟

سمعت صوت (قدرى) من خلفها، يقول فى حنان :

- صباح الخير يا آنستى الصغيرة .

التفتت إليه فى دهشة، وتطلّعت إلى مقعد القيادة الخالى، قبل أن تقول :

- صباح الخير يا أستاذ (قدرى) .. أين (أدهم) ؟

أجابها بابتسامة أبوية حنون :

- ذهب للاطمئنان على (منى) .

انتبهت، فى هذه اللحظة فقط، إلى أن السيارة تقف فى ساحة الانتظار، أمام المستشفى المركزى فى (نيويورك)، فاعتدلت متمتمة :

- هل وصلنا منذ زمن ؟

أومأ (قدرى) برأسه إيجابًا، وقال :

- منذ ربع الساعة تقريبًا، ولكن (أدهم) لم يشأ أن يوقظك، وقال إنك عانيت الكثير أمس، وتحتاجين إلى نوم عميق .

تنحنحت، وحاولت أن تتطلّع إلى المرآة الجانبية، قائلة :

- لا ريب فى أننى أبدو بشعة، عندما أستيقظ من النوم .

ابتسم (قدرى)، قائلاً :

- لو أن هذه هى بشاعتك، فأرجو ألا تسمحى لى برؤيتك فى لحظات الانتعاش، فلست أعتقد أن قلبى يمكن أن يحتمل فتنتك الطاغية حينذاك .

ضحكت لعبارته فى جذل، وهى تقول :

- أنت مجامل يا أستاذ (قدرى) .

هزّ كتفيه المكتظتين، قائلاً :

- بالطبع، فأنا أجامل نفسى، عندما أقول : إن قلبى وحده سيتأثّر، فأنا واثق من أن كيانى كله سيخر ساجدًا أمام جمالك حينذاك .

ضحكت مرة أخرى، وقد راقت لها عبارته كثيرًا، وقالت :

- دعنا نختبر هذا إذن .. سأخرج لغسل وجهى

وتصفيف شعرى ، وأضع القليل من لمسات الزينة ، ثم أعود إليك ، لأرى ماذا يحدث ؟

قال مداعبًا :

ـ يا لقسوتك !.. هل ترغبين فى تدميرى إلى هذا الحد ؟

ضحكت للمرة الثالثة فى مرح ، وهى تغادر السيارة ، وتتجه إلى المستشفى ، ثم لم تلبث أن مطّت شفتيها ، قائلة :

ـ لماذا لا يصاب (أدهم) بالعدوى منه ؟!

قالتها ،.وهزّت كتفيها ، وهى تمضى إلى حجرة السيّدات بالمستشفى ، لتعدّل زينتها وتؤدى طقوسها الصباحية ، ثم غادرتها بعد ربع الساعة ، وهمّت بالعودة إلى السيارة ، إلا أنها لم تلبث أن توقّفت ، وغمغمت :

ـ لم يمكنه العمل ، قبل أن يطمئن عليها .. يا لها من علاقة !

كانت تشعر بالكثير من الغيرة ، مع تلك الرابطة القوية ، التى تربط ما بين (أدهم) و (منى) ، وينتابها الفضول لمعرفة ما يدور هناك الآن ..

فى حجرة العناية الفائقة ..

حيث ترقد (منى) ..

حاولت مقاومة فضولها الأنثوى العنيف ، إلا أنها لم تستطع ، فتمتمت :

ـ ولِم لا ؟!

ثم اتجهت فى حزم إلى حجرة العناية المركَزة ، ولم تكد تبلغها ، حتى توقّفت مبهوتة ، أمام المشهد الذى وقعت عليه عيناها ، عبر الواجهة الزجاجية للحجرة ..

كان (أدهم) يجلس إلى جوار (منى) ، التى رقدت على فراشها صامتة شاحبة ساكنة ، وعشرات الأنابيب والخراطيم والأسلاك تتصل بجسدها ، وتنقل إليها سوائل الحياة ، أو تنقل منها إشارات خاصة ، لمتابعة كل معدّلاتها الحيوية ، فوق شاشات عديدة ، متراصة فى المكان ، و (أدهم) يمسك يدها فى حنان بالغ ، ويهمس فى أذنها بكلمات لا يسمعها سواهما ..

وعلى الرغم منها ، استخدمت (جيهان) مهارتها الفريدة ، فى قراءة الكلمات ، عبر حركات الشفاة ..

واعتصرت قبضة باردة قلبها فى عنف ..

لقد كان (أدهم) يهمس فى أذن (منى) بأقوى كلمات حب وهيام سمعتها ، فى حياتها كلها ..

كلمات تكفى لإذابة جبل من الجليد ..

ولإذابة كيانها كله ..

وفى غيرة وحسرة ومرارة ، عضّت شفتها السفلى ، وهى تتابع المشهد ، ولم تنتبه إلى خيوط الدموع ، التى استغلّت شرودها ، وتسلّلت عبر مقلتيها ، وراحت تنحدر على وجهها فى صمت ..

ولم تكتف دموعها بالانهمار من عينيها ، وإنما راحت تغسل قلبها المرتجف ، وتغمره بلهيبها ، حتى كاد ينهار وسط ضلوعها ..

إنه يحب (منى) بحق ..

يحبها كما لم تر حبًا من قبل ..

وهذا يعنى أنه ليست أمامها فرصة واحدة للفوز بحبه ..

أية فرصة ..

تنهّدت فى قوة ، وهى تشيح بوجهها ، و...

وفجأة ، وقع بصرها على المفتش (هانكس) ، وهو يتجه إلى حجرة الطوارئ ، ويقتحمها ، قائلاً :

- كنت أعلم أننى سأجدك هنا .

التفت إليه (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول فى صرامة :

- اصمت .

برقت عينا (هانكس) فى ظفر ، وهو يشير لرجاله الخمسة بمحاصرة المكان ، قائلاً :

- ملفك أشار إلى علاقتك القوية بزميلتك هذه ، التى ترقد فاقدة الوعى فى المستشفى المركزى ، وكان من السهل أن أستنتج أنك ستأتى للاطمئنان عليها ، إن عاجلاً أو آجلاً ، وهذه نقطة ضعف ضخمة فى شخصيتك يا رجل .

أعاد (أدهم) يد (منى) إلى جوارها فى رفق ، وهو يكرّر فى صرامة :

- اصمت .. هذا المكان لا يصلح لمثل هذه السخافات ، ثم إنك تزعج (منى) بأسلوبك هذا .

لوّح (هانكس) بيده ، قائلاً :

- أمر صديقتك هذا لا يعنينى ، فكل ما كنت أحتاج إليه منها هو ..

انقضّ (أدهم) عليه بغتة ، وأمسك معصمه ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى سرعة وعنف ، ثم دفعه أمامه فى قسوة إلى خارج الحجرة ، قائلاً :

- قلت لك : اصمت .

هتف (هانكس) فى مزيج من الدهشة والذعر :

- ماذا تفعل ؟!

وفى نفس اللحظة ، استلّ رجاله الخمسة مسدساتهم ، ولكن صوت (جيهان) انبعث من خلفهم ، وهى تقول فى صرامة :

ـ حذار أن يحتفظ أيكم بمسدسه .. سأطلق النار على كل من يظل ممسكًا بمسدس ، بعد ثلاث ثوان من الآن .

ألقوا أسلحتهم على الفور ، وارتفعت أيديهم باستسلام محنق ، ورئيسهم (هانكس) يهتف :

ـ ما تفعله جريمة فيدرالية .. لابد وأن تدرك هذا .. ليس من حقك مقاومة شرطى فيدرالى .

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يدفعه أمامه فى قسوة وحزم :

ـ أعمل عقلك يا رجل ، وستدرك أننا لسنا خصمين كما تتصوّر ، فكلانا يسعى خلف الهدف نفسه ، ومن الخطأ أن نتقاتل ، ونترك الفرصة لخصمنا ، لينتصر علينا معًا .

لم يفهم (هانكس) ما يعنيه (أدهم) بقوله ، فقال فى حدة :

ـ لقد هاجمت القاعدة الجوية ، واختطفت طائرة هليوكوبتر حربية ، وهذا عمل غير مشروع .

أجابه (أدهم) فى صوت قوى :

ـ راجع ملفات الجنرال (أيدن) ، وستفهم لماذا فعلت هذا ؟

كان يتحدّث إليه ، وهو يدفعه أمامه نحو الباب الخارجى ، و (جيهان) تتراجع معه فى حذر ، مصوبّة مسدسها إلى الرجال الخمسة ، عندما انتبه فجأة إلى سيارة تعبر حديقة المستشفى ، وتتجه نحو بابها الخارجى بسرعة أكبر مما ينبغى ، على نحو يوحى بأنها لا تنوى قط التوقّف أمام الباب ..

ثم التقطت عينه فوهة المدفع الآلى ، التى أطلّت من نافذة السيارة ، فصاح وهو يدفع (هانكس) بعيدًا :

ـ احترسوا .

قالها ، ووثب أرضًا ، وهو يجذب (جيهان) معه ..

وفى اللحظة نفسها ، انطلقت الرصاصات ..

سيل من الرصاصات ، عبر فوهتى مدفعين آليين ، وحطّم الواجهة الزجاجية الكبيرة ، للباب الرئيسى للمستشفى المركزى ، بدوى هائل رهيب ، وفى نفس اللحظة ، التى توقّفت فيها السيارة ، وإطاراتها تطلق صريرًا مخيفًا ، و (هانكس) يصرخ :

ـ اللعنة !.. ماذا يحدث هنا ؟.. ماذا يحدث هنا ؟

قفز (مانسون) و (جاك) و (ألبرت) من السيارة ،

وكل منهم يحمل مدفعه الآلى ، وصاح الأوّل :

- لا تفسدوا أثر المفاجأة .. اقتلوه على الفور .

أدرك (أدهم) من اللحظة الأولى أنهم يهدفون إليه ، فانتزع مسدسه بسرعة مدهشة ، وسط موجة الرعب الهائلة ، التى ملأت المستشفى ، وجعلت الصرخات تنطلق من كل صوب فيه ، وأطلق رصاصاته نحو أقرب الرجال الثلاثة إليه ، فأطاح بمدفع (جاك) ، فى حين واصل (مانسون) و (ألبرت) هجومهما العنيف ، غير مبالين بطبيعة الساحة ، التى اختاراها لقتالهما ، ولا بما يمكن أن يصيب قاطنيها ، من جراء موقف عنيف مباغت كهذا ..

وفى هذا ، كانا ينفذان أوامر الجنرال (تورنسول) بمنتهى الدقة ..

لابد أن يتم الهجوم فى مكان لا يمكن توقّعه ، حتى يكون عامل المفاجأة كاملاً ..

ولابد أن يتمّ بمنتهى القوة والعنف ، بحيث لا يمنح الخصم لحظة واحدة للتفكير والتدبير ، أو اتخاذ اللازم للمواجهة أو الدفاع ..

ولأنهم أيضًا راجعوا ملف (أدهم) كله ، كان من الطبيعى أن يبحثوا عنه هنا ..

فى المستشفى .

وأن يبدءوا هجومهم فور رؤيته ..

دون النظر إلى أية عوامل أخرى .

ولكن المشكلة التى واجهتهم ، هى أن خصمهم ليس رجلاً عاديًا ..

صحيح أن المفاجأة كانت قوية عنيفة ..

وأن (أدهم) لم يكن ليتوقّع أبدًا ، أن يتمّ الهجوم فى المستشفى ..

إلا أن عقله استوعب الموقف بسرعة مذهلة كعادته ، ودرسه جيدًا ، فى جزء من الثانية ، ثم انتقل إلى مرحلة التنفيذ ، قبل أن تكتمل هذه الثانية ..

ومرة أخرى ، انطلقت رصاصاته نحو (مانسون) و (ألبرت) ، ففقد الأوّل مدفعه الآلى ، فى حين راح الثانى يطلق رصاصاته ، مع صرخة رهيبة ، تكفى لإصابة مرضى القلب بأزمة عنيفة ، أو بسكتة قلبية مباغتة ..

وبلا تردُّد ، أطلقت (جيهان) رصاصاتها نحو (ألبرت) ..

وأصابته بثلاث منها فى صدره ..

ولكن العجيب أنها لم توقفه ..

فقد كان الرجال الثلاثة يرتدون دروعًا واقية من الرصاصات ، تحت ثيابهم المدنية العادية ..

وفى غضب ، أدار (ألبرت) فوهة مدفعه الآلى نحو (جيهان) ، صارخًا :

- ستموتين أيتها الحقيرة .

ولكن رصاصات (أدهم) انطلقت فى اللحظة نفسها ، لتخترق ركبة (ألبرت) ، وفخذه ، وساقه ..

وسقط (ألبرت) ، على مسافة أمتار خمسة من (أدهم) و (جيهان) ، والأخيرة تهتف :

- كان الأفضل أن تنسف رأسه .. لو أننى أطلقت النار أولًا لفعلت .

هتف وهو يهبّ واقفًا على قدميه ، ويندفع نحو (مانسون) و (جاك) ، اللذين يحاولان التقاط مدفعيهما ثانية :

- من حسن الحظ أنك لست فى مكانى .

رآه (مانسون) يندفع نحوه ، فالتقط مسدسه بسرعة ، وهتف :

- لن تفلح أيها الـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، وثب (أدهم) فى مهارة ، ودار حول نفسه فى الهواء ، وركله فى أنفه فى قوة ، فأطاح

به بعيدًا ، فى نفس اللحظة التى التقط فيها (جاك) مدفعه بالفعل ، وصوّبه إليه ، و..

وأطلق النار ..

ولو أن الأمر سار على هذا النحو ، فى الانتقال من سطر إلى آخر ، لكان من الطبيعى أن يلقى (أدهم) مصرعه برصاصات (جاك) ..

ولكن الواقع أنه هناك سطر ناقص ، ما بين السطرين ..

ففى نفس اللحظة ، التى صوّب فيها (جاك) مدفعه إلى (أدهم) ، اندفعت نحوه (جيهان) ، هاتفة :

- ليس بهذه السهولة ..

ثم أطلقت رصاصات مسدسها نحوه ..

وأصابت رصاصاتها كلها صدر (جاك) ، فدفعته إلى الخلف ، بحركة عنيفة مباغتة ، فارتفعت فوهة مدفعه الآلى ، وانطلقت رصاصاته كلها فى الهواء ..

وقبل أن يستعيد توازنه ، كانت تنقضّ عليه ، وتهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، قائلة :

- كنت أتمنى نسف رأسك الغبى .

ثم دارت حول نفسها ، وهى ترتفع بجسدها ، لتركله فى أنفه ، مستطردة :



ثم درات حول نفسها ، وهى ترتفع بجسدها ، لتركله فى أنفه ، مستطردة : ــ ولكن رئيسى يرفض هذا الأسلوب الحاسم ..

ـ ولكن رئيسى يرفض هذا الأسلوب الحاسم .

شاهد (هانكس) هذا القتال العنيف ، فهتف برجاله :

ـ استعيدوا مسدساتكم يا رجال .. سنضع حدًا لهذا العبث غير المسئول .

سمع (أدهم) العبارة ، فجذب (جيهان) من يدها ، قائلاً :

ـ هيا بنا .. لم يعد لنا مكان هنا .

انطلقا يعدوان بأقصى سرعتهما نحو السيارة ، التى انطلق بها (قدرى) لاستقبالهما ، و (هانكس) يهتف فى توتر :

ـ توقفا أو أطلق النار ..

أما رجاله الخمسة ، فلم ينتظروا أوامره ، وراحوا يطلقون النار مباشرة ..

وفى سرعة ، دفع (أدهم) (جيهان) داخل السيارة ، ثم وثب إلى جوار (قدرى) هاتفًا :

ـ انطلق يا رجل ، وبأقصى سرعة .

انطلق (قدرى) بالسيارة ، تلاحقه رصاصات (هانكس) ورجاله ، وهتف الأخير فى صرامة :

ـ الحقوا بهم .. لا تسمحوا لهم بالفرار .

هبّ (مانسون) ، قائلاً فى حزم :

- اطمئن .. لن يذهبوا بعيدًا .

صاح به (هانكس) :

- انتظر .. إننى ألقى القبض عليك ، بتهة الـ ..

قاطعه (مانسون) ، وهو ينقضّ على سيارته ، وينتزع منها مدفعًا صاروخيًا :

- صه يا رجل .. إننا نتبع جهاز المخابرات .

اتسعت عينا (هانكس) ، وهو يهتف :

- المخابرات ؟!

تجاهله (مانسون) تمامًا ، وهو يضع المدفع على كتفه ، ويصوّبه إلى السيارة ، التى يجاهد بها (قدرى) ، للانطلاق وسط ازدحام السيارات عند مدخل الحديقة ، و ...

وأطلق (مانسون) صاروخه ..

وأصاب هدفه كمحترف ..

ودوى الانفجار ..

* * *

ثانية واحدة ، كانت الفيصل بين الحياة والموت ..

ثانية واحدة ، انتبه فيها (أدهم) إلى (مانسون) ، الذى يصوّب إليهم مدفعه ، ويهمُّ بإطلاق صاروخه ..

وفى هذه الثانية ، درس (أدهم) الموقف كله ..

مخرج المتشفى مزدحم بالسيارات ، التى تحاول الفرار ، بعد أن اشتعلت تلك الحرب المحدودة ، و (مانسون) محترف ، لا يمكنه أن يخطئ إصابة هدفه قط ، و (قدرى) هو الذى يقود السيارة ، و ...

واتخذ قراره ، قبل أن تنتهى الثانية ..

بل ، ووضعه موضع التنفيذ ..

وبكل قوته ، دفع (قدرى) أمامه إلى خارج السيارة ، وهو يهتف بـ (جيهان) :

- اقفزى .

أطاعته (جيهان) فى تلقائية ، دون حتى أن تلتفت خلفها ، ووثبت خارج السيارة ، وتركت جسدها يتدحرج مبتعدًا عنها فى سرعة ، فى حين أحاط (أدهم) (قدرى) بذراعيه ، وهو يهتف به :

- تعاون معى يا رجل .

ولكن جسد (قدرى) البدين لم يكن ليستجيب فى يسر ، فى حين كان (مانسون) قد أطلق صاروخه بالفعل ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجرت السيارة بدوى هائل ، أصاب نزيلين بسكتة قلبية فعلية ، وانطلقت الشظايا فى كل مكان ، وأطلق

(قدرى) صرخة ألم هائلة ، عندما انغرس طرف المرآة الجانبية المتطايرة فى ظهره ، على قيد سنتيمتر واحد من قلبه ، وشعر (أدهم) بألم عنيف فى ذراعه اليسرى ، فى حين حمت (جيهان) وجهها ، ونيران الانفجار تلفح جسدها وساقيها ..

وفى ذهول ، هتف (هانكس) :

ـ رباه !.. لقد نجوا .

انعقد حاجبا (مانسون) فى غضب هادر ، وهو يصرخ :

ـ اللعنة !

وصوّب مدفعه مرة أخرى نحو (أدهم) و (قدرى) ..

ولكن (أدهم) كان قد اتخذ قرارًا جديدًا ..

وحاسمًا ..

لقد صنّف خصومه ، وأدرك أن (هانكس) ورجاله يسعون للظفر به واستجوابه ، لمعرفة ما يخفيه ، فى حين يسعى (مانسون) ورجليه لسحقه سحقًا ..

لذا ، فلم يكن الاختيار عسيرًا ..

لقد صوّب مسدسه فى سرعة إلى (مانسون) ..

وأطلق النار ..

واخترقت رصاصاته ساقى (مانسون) وذراعيه ،

فانهار أرضًا ، وهو يطلق صرخة ألم ، ويهتف :

ـ اللعنة !.. اقتلوا هذا الوغد .. اقتلوه ..

ولكن (أدهم) قال لـ (جيهان) فى حزم ، وهو يجذب (قدرى) خلف سيارة قريبة .

ـ اهربى .. أسرعى .

هتفت به :

ـ محال .. لن أتركك وحدك .

صاح بها فى غضب صارم :

ـ هذا أمر .

قالت فى عناد :

ـ وما عقوبة رفض طاعة الأوامر ؟

انعقد حاجباه فى غضب هادر ، وهو يجيب :

ـ الإعدام .

أدهشها أن نطق الكلمة بمنتهى الجدية والحزم، فحدّقت فيه لحظة ، ثم قالت ، وهى تختفى خلف سيارة أخرى :

ـ وماذا عنك ؟

كان (هانكس) ورجاله قد سيطروا على الموقف كله تقريبًا ، بعد إصابة (مانسون) ورجاله ، وهتف هذا الأخير :

ـ استسلم يا مستر (صبرى) .. لن تجد مكانًا تذهب

إليه ، ونحن نعلم أنك ستعود إلى هنا حتمًا ، من أجل زميلتك .

فانعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول لـ (جيهان) فى حزم :

ـ لا يمكننى أن أتخلى عن (قدرى) و (منى) .

ثم أضاف فى سرعة :

ـ كما أنك ستصبحين خط دفاعى الثانى .

أدركت مقصده على الفور ، فانطلقت تعدو مبتعدة بأقصى سرعة ، وهى تهتف بالعربية :

ـ سأظلّ فى الجوار .

ورآها (هانكس) تبتعد ، فصاح فى رجاله :

ـ أوقفوها .

ولكن (أدهم) أطلق رصاصاته نحوهم ، وهو يغمغم :

ـ ليس بهذه البساطة .

أصابت رصاصاته مسدساتهم ، وأطاحت بها بعيدًا ، دون أن تمسّهم بسوء ، فتراجعوا فى ذهول ممتزج بالذعر ، وهتف (هانكس) :

ـ مستحيل !.. كيف فعل هذا ؟!

اختلس (أدهم) نظرة إلى (جيهان) ، التى اندسّت وسط الزحام ، وهى تعيد مسدّسها إلى جيبها ، ثم لم تلبث أن اختفت بين السيارات وجموع البشر ، الذين

يراقبون ما يحدث من بعيد ، وقال بصوت مرتفع :

ـ ما زلت أكرّر أيها المفتش .. كلانا يعمل فى الجانب نفسه ..

صاح به (هانكس) :

ـ استسلم أوّلا ، وسنناقش هذا فيما بعد .

كان هذا يتفق تمامًا مع ما قدّره (أدهم) ، الذى صاح :

ـ زميلى يحتاج إلى إسعاف عاجل .

أجابه (هانكس) :

ـ سنوفر له كل ما يحتاج إليه .

نهض (أدهم) ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع صوت غاضب يهتف :

ـ فى هذه الحالة سأرسلك إلى الجحيم .

ومن خلف (هانكس) ، بدا (ألبرت) جالسًا على الأرض ، بركبتيه المصابتين ، وهو يحمل المدفع الصاروخى على كتفه ، و ..

ويطلقه ..

نحو الهدف مباشرة ..

نحو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

* * *

١٠- قبضة السلطة..

اندفع القاتل المحترف (تشارلز دار) إلى مقر منظمة القتل، ووجهه وصوته يحملان أمارات انفعال جارف، وهو يهتف:

- (توماس).. (توماس).. أين أنت يا رجل ؟!

كان (توماس كلارك) يجرى محادثة فى هذه اللحظة، فقال بصوت مرتفع:

- أنا هنا يا (شارلى).. ماذا هناك ؟

لوّح (تشارلز) بيده فى حرارة، قائلاً:

- هل بلغتك أخبار أحداث المستشفى المركزى ؟

أجابه فى دهشة:

- أية أحداث ؟!

هتف (تشارلز):

- هناك تبادل إطلاق نيران عند المستشفى، وبعضهم استخدم صاروخًا.. إنها الحادثة الأولى من نوعها، و (التليفزيون) ينقل الصورة على الهواء مباشرة.

قال (توماس) فى حيرة:

- هذا صحيح، ولكن ما الذى يثير اهتمامك بشأنها

إلى هذا الحد ؟.. إنك لم تعتد التفاعل مع الأحداث العامة على هذا النحو قط !!

أشار (تشارلز) بسبّابته، قائلاً:

- هذا لأن حادث المستشفى ليس مجرد حادثة عامة تقليدية.. إنها حادثة يهمنا أمرها بشدة.

ثم اتجه إلى جهاز (التليفزيون)، وأشعله مستطردًا:

- وبالذات فى هذه الأيام.

تطلّع (توماس) فى اهتمام إلى شاشة (التليفزيون)، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه، متمتمًا:

- مستحيل !.. إنه هو !!

أجابه (تشارلز) فى انفعال:

- فى البداية لم أصدّق نفسى، وقلت إنه من المستحيل أن تضعه الظروف أمامنا بهذه البساطة، ثم لم ألبث أن تأكدت من أنه هو نفسه (أدهم صبرى)، الذى نسعى خلفه.. ها هوذا أمامنا.

صمت (توماس) لحظات، وهو يتابع المشهد، ثم قال:

- وبم يفيدنا هذا؟

أجابه (تشارلز):

ـ لقد حددنا موقعه على الأقل .

قال (توماس) فى بطء ، وكأنه يزن كل حرف ، قبل أن ينطق به :

ـ وهل تعتقد أنه سيبقى هناك ؟

أجابه (تشارلز) فى حماس :

ـ لقد تحطمت سيارته كما ترى ، ولم يعد الفرار سهلاً ، ثم إن زميله البدين مصاب ، وملفه يؤكد أنه ليس من الطراز الذى يمكن أن يتخلى عن رفاقه ، مهما كانت الأسباب .

قال (توماس) مترددًا :

ـ هل تعتقد أنه سيستسلم ؟

أومأ (تشارلز) برأسه إيجابًا، وهو يقول :

ـ لن يدهشنى هذا .

قال (توماس) معترضًا :

ـ ولكن ملفه يقول : إنه ليس من الطراز الذى يستسلم للهزيمة فى سهولة .

هزّ (تشارلز) كتفيه ، قائلاً :

ـ ومن قال إنه سيستسلم للهزيمة ؟!.. لقد درست موقفه جيدًا ، ووجدت أن ذكاءه سيجد أن الاستسلام هو أفضل ما يمكن أن يفعله ، فى هذه المرحلة من القتال ،

فقد قاتل بوجه عار طوال الوقت ، وانكشف أمره تماما ، والكل يعلم أن تلك الراقدة فى حجرة العناية الفائقة فى المستشفى زميلته ، وأن المصاب زميله ، ولو أنه استخدم كفاءته وقدراته للفرار ، سيكون عليه أن يترك زميلته وزميله فى قبضة أعدائه ، الذين لن يتورّعوا فى استغلالهما للإيقاع به ، أما لو استسلم ، وسمح لهم بإلقاء القبض عليه ، فلن يصبح لزميليه الأهمية نفسها ، وسيتمكن من تهريبهما بوساطة أحد زملائه فيما بعد ، دون أن يضطر للقتال فى عنف من أجل هذا .

عقد (توماس) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى الشاشة ، مغمغمًا :

ـ فكرة عبقرية !.. ولكننى ما زلت أتساءل . بم يفيدنا استسلامه هذا ؟

ابتسم (تشارلز) فى خبث ، قائلاً :

ـ القانون يحتم وضعه فى الحبس الاحتياطى عندئذ ، وأعتقد أن لدينا العديد من الأصدقاء فى السجن المركزى فى (نيويورك) .. أليس كذلك ؟

ارتفع حاجبا (توماس) ، وتألقت عيناه ، وهو يقول :

ـ بلى .. أصدقاؤنا بالعشرات ، فى إدارة السجن ، وبين المسجونين أنفسهم .

وضع (تشارلز) يده على كتفه ، مكملاً :

- وهذا يجعل القضاء عليه أكثر يسرًا .

هتف (توماس) فى حماس :

- بالتأكيد .

ثم انعقد حاجباه فجأة ، وهو يحدق فى شاشة (التليفزيون) ، مستطردًا فى انفعال :

- هذا لو بقى على قيد الحياة ، حتى يصل إلى السجن المركزى .

التفت (تشارلز) بدوره إلى الشاشة ، وانعقد حاجباه أيضًا ، وهو يحدق فى (ألبرت) الذى ظهرت صورته وهو يطلق صاروخه نحو (أدهم) ..

وبمنتهى الدقة ..

* * *

كانت مبادرة (ألبرت) مباغتة بحق ؛ فلم يتوقع (أدهم) أبدًا أن يقدم الرجل على هذا ، بعد أن حطم ركبتيه برصاصات مسدسه ..

ولقد أطلق (ألبرت) صاروخه ، قبل أن يجد (هانكس) ورجاله الفرصة لمنعه ..

ولكن (أدهم) تحرك بسرعة مدهشة ..

لقد انحنى بسرعة ، ثم وثب وثبة هائلة مدهشة ،

ليحمى (قدرى) بجسده ، وهو يهتف :

- احترس .

ومع آخر حروف هتافه ، انفجر الصاروخ ..

انفجر على مسافة خمسة أمتار منه فحسب ، وانطلقت منه موجة تضاغط عنيفة ، بلغ من شدتها أن انتزعته مع (قدرى) من الأرض ، وألقتهما مترين إلى الأمام ، مع سيل من الشظايا ، تناثر حولهما لمسافة واسعة ، وتساقط على جسديهما ، على هيئة قطع صغيرة مشتعلة ، نفضها (أدهم) فى سرعة ، وهو يسأل (قدرى) :

- أأنت بخير ؟!

ارتجّ جسد (قدرى) كله ، وهو يقول فى انفعال :

- لقد حميتنى بجسدك .. أنت حميتنى بجسدك .

سأله (أدهم) :

- المهم أنك بخير .. أليس كذلك ؟!

انفجر (قدرى) باكيًا ، من فرط الانفعال ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (هانكس) ورجاله إلى حيث يرقد (أدهم) و (قدرى) ، وانحنى يسألهما :

- هل أصابتكما الشظايا ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ كلا والحمد لله ، ولكن صديقى مصاب من انفجار السيارة ، ومرآتها مغروسة فى ظهره ، وستحتاج إلى جراح بارع لانتزاعها منه ، دون أن يؤذى قلبه .

أجابه (قدرى) بصوت متهدج :

ـ اطمئن يا أصدق الأصدقاء .. هذه واحدة من فوائد طبقة الدهن السميكة ، التى تغطى جسدى ، فهى تحيطنى بغلاف قوى ، يصعب اختراقه لإصابة قلبى .

اندفع رجال الإسعاف من المستشفى فى هذه اللحظة ، وهم يحملون محفة كبيرة ، لينقلوا (قدرى) إلى قسم الطوارئ ، فسعل هذا الأخير ، وهو يقول :

ـ إنهما اثنان فقط يا (أدهم) .. هل تعتقد أنهما يستطيعان حملى ؟

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ هناك اثنان آخران ، فى طريقهما إلى هنا يا صديقى .

وضع (هانكس) يده على كتف (أدهم) ، قائلاً :

ـ صدقنى يا رجل .. أنا شديد الإعجاب بقوتك ومهارتك وإصرارك ، ولكن القانون يحتم على أن ألقى القبض عليك .

أومأ (أدهم) برأسه متفهماً ، وهو يقول :

ـ أنا رهن إشارتك .

أحاط (هانكس) معصميه بالأغلال ، و (قدرى)

يسعل ، قائلاً بالعربية :

ـ عد إلينا بسرعة .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً بالعربية أيضاً :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

سأله (هانكس) متوتراً :

ـ ماذا تقولان ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ إنه يتمنى لى حظاً سعيداً فحسب .

رمقه (هانكس) بنظرة شك ، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. أمامنا وقت طويل نتحدث فيه معاً ، وأتعشم أن تقص علىّ قصة حياتك كلها عندئذ .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ ألديك ما يكفى من الوقت ؟

عقد (هانكس) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ وقتى كله لك .

لم يتبادلا حرفاً واحداً ، بعد عبارة (هانكس) الأخيرة ، وسيارة المباحث الفيدرالية تحملهما مبتعدة عن منطقة الحادث ، التى اكتظت بالمشاهدين ورجال الصحافة والإعلام ، الذين اندست بينهم فتاة جميلة ، راحت تتابع ابتعاد السيارة فى قلق بالغ ..

فتاة اسمها (جيهان) ..
(جيهان فريد) ..

* * *

انعقد حاجبا السنيورا فى شدة ، وهى تتابع هذه المشاهد على شاشة (التليفزيون) ، وبدا عليها مزيج من التوتر والحيرة ، وهى تغمغم :

ــ لو أن هذا الصراع يحمل توقيع (توماس) وفريقه ، فأقسم أن أسحقهم سحقًا .

والتقطت سمّاعة الهاتف فى عصبية ، ومساعدتها تقول :

ــ ألا يدهشك يا سنيورا أن (أدهم صبرى) يقاتل بوجه عار هذه المرة ؟

أجابتها السنيورا ، وهى تطلب رقم (توماس) :

ــ هذا يدهشنى بالتأكيد ، ولكننى واثقة من أن لديه دافعًا قويًا لهذا ، فهو لا يمكن أن يرتكب هذه الحماقة قط .

قالت المساعدة فى حيرة :

ــ أى دافع هذا ؟!.. إنه يكشف وجهه وهويته ، ويعرّض مهمته كلها للخطر .

أجابتها السنيورا فى حزم :

ــ لو أن التوصّل إلى الدافع بسيط إلى هذا الحد ، لما

أصبح (أدهم صبرى) واحدًا من أقوى رجال المخابرات وأبرعهم فى العالم .. لا تفكّرى فى هذا الآن ، فسيظهر الدافع فى حينه .

ثم انعقد حاجباها ، وهى تستطرد ، عبر الهاتف :

ــ ألو .. إنه أنا يا (توم) .. السنيورا .. قل لى : ألكم صلة بما تنقله شاشات (التليفزيون) الآن ؟

أجابها (توماس) فى سرعة :

ــ مطلقًا يا سنيورا .. لسنا ندرى حتى من هؤلاء ، الذين سعوا لقتله بكل هذا العنف ، وفى مكان كهذا !

ثم أضاف فى اهتمام :

ــ ولكننا نستطيع الإفادة مما حدث بشدة .

سألته فى حذر :

ــ وكيف هذا ؟

أجابها فى حماس :

ــ إنهم سيحتجزونه حتمًا فى السجن المركزى ، ولدينا أصدقاء عديدون هناك .

صمتت طويلاً دون تعليق ، فتابع متوترًا :

ــ والأصدقاء يفعلون الكثير ، فى مثل هذه الظروف .

صمتت لحظة أخرى ، قبل أن تقول فى اقتضاب :

ــ سنرى .

وأنهت المحادثة فى حزم متوتر ، ثم أشعلت واحدة من سجائرها الرفيعة الطويلة ، ونفثت دخانها فى قوة ، وهى تفكر فى عمق ، فسألتها مساعدتها :

ـ ما الذى يقلقك يا سنيورا ؟

هزّت السنيورا رأسها ، وهى تتنهد فى حرارة ، قبل أن تقول :

ـ أخبرينى .. كيف يمكن لرجل مثل (أدهم صبرى) أن يستسلم بهذه البساطة ؟

أجابتها مساعدتها فى حذر :

ـ ربما لم يكن أمامه سبيل آخر .

هتفت السنيورا :

ـ (أدهم) ؟!.. إنه يمتلك موهبة مدهشة ، فى إيجاد حل لكل مأزق .

قالت المساعدة متردّدة :

ـ ولكن زميله كان مصابًا ، ورفيقته ما زالت فاقدة الوعى ، و ...

قاطعتها السنيورا ، وهى تعتدل بحركة حادة :

ـ مهلا .

بترت المساعدة عبارتها فى توتر ، وتطلّعت إلى السنيورا فى اهتمام وفضول ، فاستغرقت هذه الأخيرة

فى تفكير عميق دام بضع لحظات ، قبل أن ترتسم على شفتيها ابتسامة جذلة ، مفعمة بالخبث والثقة والدهاء ، وهى تغمغم :

ـ آه .. هذه لعبتك إذن يا (أدهم)

ثم أدارت عينيها إلى مساعدتها ، وسألتها بغتة :

ـ هل تعرفين لماذا يميل كل زعماء العصابات ، إلى اتخاذ (نيويورك) مقرًا لهم ؟!

أجابتها مساعدتها :

ـ لأنها مدينة كبيرة ، تطلّ على المحيط مباشرة ، وتضمّ مئات من أماكن المرح واللهو ، والمطاعم والفنادق الفاخرة ، و...

قاطعتها السنيورا بابتسامة كبيرة :

ـ خطأ .. إنهم يختارونها لأن كل شىء فيها قابل للبيع والشراء ، حتى الذمم والضمائر .

قالتها ، والتقطت سمّاعة الهاتف مرة أخرى ، فسألتها مساعدتها :

ـ هل يعنى هذا أنك ستجرين اتصالاتك ، لإيجاد من يسعى لاغتيال (أدهم) فى سجنه ؟!

هزّت السنيورا رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ كلا .. سأترك هذه المهمة لـ (توماس) ورجاله ،


فرك (هانكس) كفيه فى توتر واضح ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) ، الذى استرخى فى مقعده ..

فقد تلقَّوا أجرهم لأدائها .

سألتها فى حيرة :

ـ بمن تتصلين إذن ؟

أطلّت من عينى السنيورا ابتسامة كبيرة ، وهى تقول :

ـ بشخص سيعمل على إحباط خطة (أدهم) .

وانتقلت الابتسامة إلى شفتيها ، وهى تضيف :

ـ خطته الرئيسية .

ثم تحوّلت الابتسامة إلى ضحكة ..

ضحكة عالية ..

وقاسية .

* * *

فرك (هانكس) كفيه فى توتر واضح ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) ، الذى استرخى فى مقعده ، وأسبل جفنيه ، على نحو يوحى بأنه غارق فى نوم عميق ، ثم قال فى شىء من العصبية :

ـ والآن يا مستر (أدهم) .. هل سنكمل حديثنا ، أم أنك ستواصل تظاهرك بالنوم ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وقال دون أن يفتح عينيه :

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط ؟

مال (هانكس) نحوه ، وهو يقول فى لهفة :

- من أنت بالضبط ؟

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يفتح عينيه فى بطء ، قائلاً :

- ألم تقرأ كل بيانات الكمبيوتر ؟

قال (هانكس) فى حدة :

- أنا أسألك .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- وأنا أجيبك .

انعقد حاجبا (هانكس) فى غضب ، وقال أحد رجاله فى صرامة ، وهو يجذب مشط مسدسه :

- يبدو أن الأساليب السليمة لن تصلح معه .. دعنى أتعامل معه بأسلوب آخر .

التفت إليه (أدهم) فى برود ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

- مثل ماذا ؟

كان الرجل قويًا ، ضخم الجثة ، مفتول العضلات ، صارم الملامح ، إلا أنه لم يكد يرتطم بنظرة (أدهم) الحازمة ، حتى ارتجف شىء ما فى أعماقه ، واتسعت عيناه ، وكأنه يواجه وحشًا رهيبًا ، وتراجع بحركة

حادة ، كادت تفقده توازنه ، فيسقط على ظهره ، فتطلّع (هانكس) فى دهشة ، وهتف :

- تماسك يا رجل .

انتفض الرجل ، وكأنما يفيق من حلم طويل ، وحدّق فى وجه (هانكس) ، قبل أن يتنحنح ، ويقول فى غلظة :

- أتماسك ؟!.. إننى متماسك بالفعل .

زفر (هانكس) فى توتر شديد ، وأشار إلى الرجل بالتراجع ، وهو يقول لـ (أدهم) :

- اسمع يا مستر (أدهم) .. ملفك لدينا يحوى الكثير والكثير ، حتى أنه ليدهشنى أنهم يمنحونك تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً فى هدوء :

- إننى أحمل تأشيرة مفتوحة ، لمدة خمس سنوات .

هزّ (هانكس) رأسه ، قائلاً :

- ما زال هذا يدهشنى .

ورمق (أدهم) بنظرة جانبية ، مستطردًا فى خبث :

- وخاصة أنك رجل مخابرات مصرى .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- من قال هذا ؟!.. جواز سفرى يقول : إننى رجل أعمال ، وملفى فى جمعية رجال الأعمال سيؤكد لك أننى

أمتلك بضعة أسهم ، فى عدد من شركات البترول والاليكترونيات هنا ، وفى (اليابان) ، مما يمنحنى الحق فى دخول الولايات المتحدة الأمريكية دومًا ، لمتابعة أعمالى وشئونى فيها .

مطّ (هانكس) شفتيه ، قائلاً :

- إنك تستغل نقطة قصور كبيرة ، فى نظام الإجراءات لدينا .

تثاءب (أدهم) فى ضجر ، وهو يقول :

- بالتأكيد ، ولكن أخبرنى : هل سنقضى الوقت كله ، فى مناقشة النظم القانونية لدخول (أمريكا) ، أم أن لديك أسئلة أخرى ؟!

زفر (هانكس) ، قبل أن يقول :

- هل تعتقد يا سيّد (أدهم) أننا سنظلّ نلفّ وندور ، حول بعضنا البعض ، طوال النهار ؟!.. لماذا لا نتناقش فى وضوح ، مثل أى رجلين متحضرين ؟ .. ألن تخبرنى ما الذى كنت تقصده ، عندما قلت : إننا نعمل فى جانب واحد ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

- هل سمعت بأمر اختطاف السفير المصرى فى (واشنطن) ؟

أجابه فى اهتمام :

- بالتأكيد .

قال (أدهم) فى حسم :

- ابحث إذن عن الهليوكوبتر الحربية ، التى التقطت المختطفين ، وانظر إلى أين يقودك هذا .

التقى حاجبا (هانكس) فى اهتمام بالغ ، وهو يقول :

- دعنى أخمّن .. هل سيقودنى هذا إلى الجنرال (أيدن) ، والطيّار (فريمان) ؟!..

أشار (أدهم) بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .. وهذا فى البداية فحسب ، وبعدها سيقودك تتبُع الأحداث إلى ما هو أكثر خطورة .

بدا توتر شديد على وجه (هانكس) ، وهو يقول :

- سيّد (أدهم) .. حديثك هذا بالغ الخطورة ، ويحوى اتهامات مخيفة .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى اقتضاب :

- بالضبط .

قالها ، واسترخى فى مقعده فى هدوء شديد ، فرمقه (هانكس) بنظرة صامتة طويلة ، ثم نهض من مقعده ، وقال للرجل الجالس فى الحجرة :

- انتبه إليه جيدًا ، ولو بدرت منه بادرة واحدة ، توحى لك بالشك ، أطلق النار عليه مباشرة ..

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى الرجل ، وهو يقول:

- سأفعل بالتأكيد .

اتجه (هاتكس) إلى الخارج ، قائلا :

- سأفحص هذه البيانات بنفسى ، ثم أعود إليك يا سيّد (أدهم) .

أجابه (أدهم) ساخرًا :

- ربّاه !.. كيف سيمكننى احتمال فراقك ؟!

رمقه (هاتكس) بنظرة محنقة ، وتأكّد من أن الأغلال تربط معصمه الأيمن بقائم المنضدة الثقيلة ، قبل أن يغادر الحجرة ، مغمغمًا فى سخط :

- حاول أن تحتمله .

وأغلق الباب خلفه فى عنف ..

ولثانية أو ثانيتين ، ران على الحجرة صمت عجيب ، قطعه رجل المباحث الضخم الجثة ، وهو يقول :

- السنيورا ترسل إليك تحياتها يا سيّد (أدهم) .

انعقد حاجبا (أدهم) بشدة ، وهو يلتفت إلى الرجل فى حركة حادة ، ورآه يتراجع خطوة إلى الخلف ، ويصوّب إليه مسدسه ، و ..

ويطلق النار .

* * *

١١- الخطر ..

عقد مدير المخابرات العامة المصرية حاجبيه ، وهو يطالع التقرير الضخم ، الذى وصله من (أمريكا) ، ورفع عينيه إلى جهاز العرض الخاص به ، ليتابع الشريط المسجّل ، الذى أرسله مندوب المخابرات (ناشد) ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

- لا شك فى أن الأمور تعقّدت بشدة هذه المرة ، وأصبح من العسير أن يخرج منها (أدهم) سالمًا .

قال أحد مساعديه فى قلق :

- بل أعتقد أنها أسوأ عملية قام بها سيادة العميد (أدهم) يا سيّدى ، فقد انكشف أمره ، وشاهدت (أمريكا) كلها قتاله ، على الهواء مباشرة ، ولم يعد بإمكانه الاستمرار فى مهمته هناك .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، دون أن ينطق بحرف واحد ، فقال مساعد آخر :

- من رأيى أنه ينبغى إرسال شخص آخر ، ليحلّ محل العميد (أدهم) ، ويتولّى عملية البحث عن السفير المختطف .

التفت إليه المدير ، يسأله فى اهتمام :

ـ هل تعتقد هذا ؟

أومأ المساعد برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بكل تأكيد ، فالعميد (أدهم) أصبح الآن ورقة محترقة ، ولا ريب فى أن المباحث الفيدرالية ستحكم قبضتها عليه ، وستبذل قصارى جهدها ، لمنعه من الإفلات من بين أصابعها .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

ـ يمكنهم أن يحاولوا على الأقل .

تطلع إليه مساعدوه فى دهشة، وسأله أحدهم فى حيرة:

ـ ماذا تعنى يا سيادة المدير ؟

أشار المدير بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ أعنى أنكم تعلمون جميعًا أن (أدهم صبرى) حالة خاصة ، لا يمكن أن تنطبق عليها القواعد العادية التقليدية ، المعمول بها فى عالم المخابرات ، فمن المضحك أن نقول : إن أمره قد انكشف ، إذ إنه لا يوجد رجل مخابرات ، فى العالم أجمع ، يجهل من هو (أدهم صبرى) .. إنه الورقة التى لا تحترق أبدًا .. الاستثناء الوحيد من قواعد السرية .. بل ويمكنكم اعتباره نوعًا من الدعاية العلنية ، لقوة جهاز المخابرات المصرى .

هتف أحد المساعدين فى دهشة مستنكرة :

ـ دعاية علنية ؟!.. أى قول هذا يا سيدى ؟!.. ومن يحتاج إلى دعاية علنية ، فى عالم يعتمد على السرية المطلقة ؟

أجابه المدير فى حسم :

ـ كل أجهزة المخابرات فى العالم ، تحتاج إلى دعاية علنية ، حتى وإن لم تعترف بهذا صراحة ، وكل جهاز مخابرات يبحث عن وسيلة للدعاية عن قوته ، بشكل أو بآخر ، وكل ما يحرص عليه هو ألا يبدو هذا واضحًا ، فجهاز (الموساد) مثلاً يعتمد فى عمله على الدعاية التى تسبقه ، والتى توحى للجميع بأنه أقوى جهاز مخابرات فى العالم ، فهذه الدعاية تجعل من الصعب على الأفراد العاديين أن يتحدوا شخصًا ، يعلمون أنه ينتمى إلى (الموساد) ، كما أنه يبث الطمأنينة فى قلوب من يتم تجنيدهم لحساب الجهاز ، وهذا ينطبق أيضًا على المخابرات الأمريكية ، والبريطانية ، والروسية .. وإن اختلفت الأساليب ، كإنتاج أفلام حول أعمال المخابرات ، أو ابتكار شخصية رجل مخابرات فذ ، أو حتى تسريب خبر ما إلى الصحف ، يوحى بمسئولية جهاز المخابرات عن عمل ضخم ، يثير الرهبة فى النفوس .

قال أحد المساعدين فى حيرة :

- وهل ينطبق هذا علينا أيضًا ؟

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. لماذا نقوم بنشر بعض العمليات القديمة إذن ؟.. ولماذا فى رأيك نكشف بعض عملائنا السابقين ، مثل (رفعت الجمّال)(*) ، أو (أحمد الهوّان)(**) ؟!.. أليست هذه إحدى وسائل الدعاية ؟.

قال مساعد آخر :

(*) رفعت الجمال : شاب مصرى ، جندته المخابرات العصرية ليحيا فى قلب (إسرائيل) فى الخمسينات تحت اسم (جاك بيتون) ، وظلّ يحمل الجنسية الإسرائيلية طوال عمره ، ويقيم علاقات قوية فى المجتمع الاقتصادى والعسكرى الإسرائيلى ، ولقد نشرت قصته فى (مصر) تحت اسم (رأفت الهجّان) .

(**) أحمد الهوّان : جندته المخابرات المصرية بعد حرب ١٩٦٧ م ، وكان له دور كبير فى الإيقاع بواحدة من أقوى شبكات التجسُّس ، فى فترة حرب الاستنزاف ، كما حاز ثقة الإسرائيليين ، وحصل منهم على قدر هائل من المعلومات ، أفاد كثيرًا فى تخطيط وتنفيذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ، ولقد نشرت قصته باسم (دموع فى عيون وقحة) ، وحمل فيها اسم (جمعة الشوّان) .

- هذا صحيح من الناحية الإعلامية يا سيّدى ، ولكن كيف يمكن أن ينطبق على رجل مخابرات فى مهمة رسمية ؟!

هزّ المدير كتفيه ، وهو يجيب :

- يمكنك اعتباره تطويرًا ثوريًا فى قواعد أعمال المخابرات ، فلا توجد قواعد ثابتة فى عملنا ، وإنما كل شىء يتطوّر مع الزمن .

وانعقد حاجباه ، وهو يتابع فى حزم :

- المهم أننى أثق تمامًا بقدرة (أدهم صبرى) على معالجة الأمر ، وإصلاح كل ما حدث من أخطاء أو مشكلات .

تبادل مساعدوه نظرة متشكّكة ، قبل أن يقول أحدهم :

- معذرة يا سيّدى ، ولكن هذا يبدو لنا مستحيلاً .

أشار المدير بسبّابته ، قائلاً :

- بالضبط ، ولهذا أجده مناسبًا تمامًا لطبيعة (أدهم) .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

- هل نسيتم اللقب الذى نطلقه عليه ؟

أومأ أحدهم برأسه ، مغمغمًا :

- نعم .. لقب (رجل المستحيل) .

ثم استطرد فى شىء من الضيق :

— ولكن لماذا استسلم لرجال المباحث الفيدرالية ، وهو يعلم أنهم سيعتصرونه اعتصارًا ، ليعرفوا ما يخفيه ؟

أجابه المدير فى حسم :

— لم يكن أمامه حل بديل ، فـ (منى) لا تزال راقدة فى قسم الحالات الحرجة بالمستشفى ، وهم يعرفون صلته بها ، و (قدرى) مصاب ، على قيد أمتار منه ، وطبيعة (أدهم) تمنعه من التخلّى عنهما ، مهما كان الثمن .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حزم :

— وهذا يعنى أن وجود (قدرى) و (منى) فى (أمريكا) أصبح يمثّل نقطة ضعف كبيرة ، بالنسبة لرجلنا (أدهم صبرى) ، وأفضل ما نفعله من أجله ، حتى تتحرّر يداه ، هو أن نعمل على إخراجهما من (أمريكا) ، وإحضارهما لاستكمال علاجهما فى (القاهرة) .

ورفع عينيه إلى أحد رجاله ، متابعًا :

— اتصل بمندوبنا (ناشد) ، واطلب منه أن يتخذ كافة الإجراءات المطلوبة ، لنقل (منى) و (قدرى) إلى (القاهرة) ، بطلب خاص من الملحق الطبى للسفارة

المصرية فى (واشنطن) ، وارسل إليه جوازى سفر دبلوماسيين باسميهما ، لتذليل كل العقبات المحتملة .

وشدّ قامته ، مضيفًا فى حزم شديد .

— أريدهما هنا قبل صباح الغد بأى ثمن ، وإلا فستصبح مهمة (أدهم) فى (أمريكا) عسيرة .. عسيرة للغاية .

وكان على حق تمامًا فى عبارته هذه ..

لقد أصبحت مهمة (أدهم) عسيرة بالفعل ..

عسيرة إلى أقصى حد ..

* * *

من المؤكّد أن موقف (أدهم) ، فى مبنى المباحث الفيدرالية ، كان بالغ الدقة والحساسية والخطورة بالفعل ، فهو يجلس داخل حجرة صغيرة ، ويده اليمنى مقيّدة بأغلال حديدية إلى قائم المنضدة الثقيلة ، وعلى قيد مترين منه يقف رجل مباحث ضخم الجثة ، مفتول العضلات ، يصوّب إليه مسدسًا كبيرًا ..

ويطلق النار ..

وكرد فعل أولى ، مال (أدهم) جانبًا ، وهو يهبّ من مقعده ، وينحنى برأسه فى سرعة متفاديًا مسار الرصاصة الأولى ، التى اخترقت كم سترته ، ومزّقت

جزءًا من لحم ذراعه اليسرى ، قبل أن تكمل طريقها ، وترتطم بالجدار ..

وفى الثانية التالية مباشرة ، التقط (أدهم) المقعد ، الذى كان يجلس عليه من لحظة واحدة ، وألقاه نحو الضخم ، فارتطم به فى عنف ، قبل أن يسقط أرضًا ، والضخم يصرخ غاضبًا :

ـ لن تنجح هذه المرة .

وتراجع ليلتصق بالجدار ، وهو يصوّب مسدسه نحو (أدهم) ثانية ، ولكن هذا الأخير دفع المائدة الثقيلة أمامه بكل قوته ، وهو يهتف :

ـ لا تجزم يا رجل .

ارتطمت المائدة بالرجل فى عنف ، فتأوّه فى قوة ، مع الألم الرهيب ، الذى تصاعد من معدته وساقيه ، ولكن (أدهم) أخرس تأوهاته بلكمة كالقنبلة فى أسنانه مباشرة ، وهو يقول :

ـ إذن ، فأنت أحد رجال السنيورا .

وخفض قبضته اليسرى ، ليضرب بها مسدس الرجل ، ويلقيه بعيدًا ، ثم عاد يرفعها بسرعة مذهلة ، ليهوى بها على أنف الضخم ، ويحطّمه تمامًا ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها عدد من رجال المباحث

الفيدرالية إلى الحجرة الصغيرة ، شاهرين أسلحتهم فى توتر بالغ ، فصاح بهم زميلهم الضخم ، وهو يمسك أنفه المحطّم ، والدماء تغرق وجهه ويديه :

ـ لقد حاول قتلى ، والفرار من هنا .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هذا الوغد أراد أن يقتلنى ، لحساب جهة ما .

صرخ رجل المباحث فى ثورة :

ـ هل ستصدقونه ؟.. هل ستصدقون هذا العربى ؟

نقل رجال المباحث عيونهم بين الرجلين فى شك متوتر ، ثم قال (هانكس) :

ـ محاولة سخيفة ، لا تليق بك أبدًا يا سيّد (أدهم) .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ إذن فقد صدّقت هذا الوغد .. يا للسخافة !.. هل لك أن تفسر لى إذن كيف خططت للفرار ، بعد أن أقتل هذا الحقير ؟!.. كيف سأخرج من مبنى المباحث الفيدرالية كله ؟

أجابه (هانكس) فى حزم :

ـ لقد رأيتك تخرج من القاعدة الجوية مع زميلتك ، وكان أسلوبك فى فعل هذا مدهشًا .

هتف الضخم :

ـ هل رأيت ؟.. إنه كاذب حقير .

انعقد حاجبا (هانكس) ، وأشار إلى أحد رجاله ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيِّد (أدهم) .. كنا ننوى التعامل معك بأسلوب متحضِّر يا سيِّد (أدهم) ، ولكن محاولتك هذه تضطرنا إلى اللجوء إلى أسلوب آخر .

أشار (أدهم) إلى الضخم ، قائلاً :

ـ لا تفسد الأمر كله يا (هانكس) .. استجوب هذا الوغد ، وسله لماذا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع أحد الرجال نحوه بغتة ، ودفع فى وجهه سيلاً من رزاز قوى ، عبر بخّاخة قوية ..

وتراجع (أدهم) بسرعة ، إلا أن الرائحة النفّاذة هاجمت عقله فى عنف ، فأحاط به ضباب كثيف ، وهو يهتف :

ـ أيها الـ ...

ولم يتمّ عبارته ..

لم يتمّها ؛ لأن ذلك الضباب تكاثف حول خلايا مخه فى سرعة مذهلة ، وسيطر على عقله كله فى لحظة واحدة ، و ...

وسقط ..

سقط (أدهم صبرى) فاقد الوعى ، وسط تلك الحجرة الصغيرة ، فى مبنى المباحث الفيدرالية ، وسط (هانكس) ورجاله ..

ووسط الخطر ..

خطر الموت ..

* * *

فتح (قدرى) عينيه فى ضعف ، وتطلّع إلى الممرضة ، التى تحقنه بحقنة جلوكوز كبيرة وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يسألها :

ـ هل انتهت العملية ؟

ابتسمت وهى تجيب :

ـ نعم .. أنت هنا منذ ساعة تقريبًا ، ولقد أجرى لك الدكتور (سميث) جراحة رائعة ، ويقول إنه يمكنك الخروج من هنا بعد أسبوع واحد .

سألها متهالكًا :

ـ ألا يمكننى العودة إلى منزلى ، قبل هذا الموعد ؟

تردّدت لحظة ، قبل أن تقول :

ـ لست أعتقد أنك تستطيع العودة إلى منزلك مباشرة ، فما زالت المباحث الفيدرالية تطالب باستجوابك ، وهناك

شرطيان يقومان على حراسة الحجرة طوال الوقت .

ابتسم فى ضعف ، مغمغمًا :

- هل بلغت أهميتى هذا الحد ؟!

تطلّعت إليه مشفقة ، وهى تقول :

- يسعدنى أنك مازلت تحتفظ بروح معنوية مرتفعة .

ربتت على كرشه الضخم ، قائلا :

- ولكن معدتى خاوية ، وهذا يصيبنى بنوع من الإحباط ، لا يمكن علاجه إلا من خلال وجبة دسمة .

هتفت فى دهشة :

- وجبة دسمة ؟!.. ولكن هذا مستحيل !.. دكتور (سميث) لا يمكن أن يسمح بهذا قبل شهر كامل .

اتسعت عيناه ، وهو يقول فى ذعر :

- شهر كامل ؟!.. فى هذه الحالة ستضطرون إلى تحنيط الوجبة الدسمة ، ودفنها إلى جوار جثتى ، وشاهد قبرى يقول : « عاش سعيدًا ، ومات جائعًا » .

ابتسمت ، قائلة :

- إن هذا ليؤسفنى حقًا ، ولكننى لا أملك من الأمر شيئًا .

مط شفتيه فى غضب ، قائلاً :

- كم أبغض الأطباء .

دخلت الحجرة ممرضة سمراء ، فى هذه اللحظة ،

وقالت للممرضة الأولى فى هدوء :

- دكتور (سميث) يطلبك .

أجابتها الممرضة فى اهتمام :

- سأذهب إليه على الفور .

ولم تكد تغادر الحجرة ، حتى التفتت السمراء إلى (قدرى) ، وسألته بالعربية :

- كيف حالك الآن ؟!

تطلّع إليها (قدرى) فى دهشة ، قبل أن يهتف :

- (جيهان) !.. يا إلهى !.. لم أتعرّفك للوهلة الأولى .. البشرة السمراء والشعر الأسود أبدلا ملامحك تمامًا .

اقتربت منه ، وهى تبتسم ، قائلة :

- إنه مجرّد تنكر بسيط ، لو قارنته بالمعجزات التى يصنعها (أدهم) .

سألها فى لهفة :

- أين هو ؟.. ماذا فعلوا به ؟

أجابته فى شىء من المرارة :

- ما زال فى مبنى المباحث الفيدرالية ، ولا ريب فى أن معاناته شديدة هناك .

عضّ (قدرى) شفتيه قهرًا ، وهو يقول فى ألم :

ـ لقد استسلم من أجلنا أنا و (منى) .

أومأت برأسها موافقة ، وقالت :

ـ هذا صحيح ؛ لذا فقد اتخذت القيادة فى (القاهرة) قرارًا بإعادتكما إلى (مصر) ، بأسرع وسيلة ممكنة ، حتى يصبح هو حر الحركة .

انسابت الدموع من عينيه ، وهو يقول :

ـ كم كنت أتمنى البقاء إلى جواره فى محنته .

قالت فى حزم :

ـ عودتك إلى (القاهرة) تساعده على التغلّب عليها بالتأكيد .

أومأ برأسه ، قائلاً ودموعه تغرق وجهه :

ـ سأفعل أى شىء فى الدنيا من أجله .

ومسح دموعه ، قبل أن يسأل :

ـ ومتى نرحل إلى (القاهرة) ؟

أجابته فى هدوء :

ـ فى أقرب فرصة ممكنة .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كانت الممرضة المسئولة عن قسم الطوارئ بالمستشفى تقرأ تصريحًا خاصًا ، أعطاها إياه رجل هادئ الملامح ، يرتدى حلّة أنيقة ، ورباط عنق زاهى

الألوان ، ثم ترفع عينيها إليه ، وتسأله :

ـ هل ترغب فى اصطحاب المريضة (منى توفيق) الآن ؟

أجابها فى هدوء :

ـ لو سمحت .

راجعت التصريح مرة أخرى ، قبل أن تقول :

ـ ولكن المريضة مازالت فاقدة الوعى ، وسيحتاج نقلها إلى وسائل خاصة ، وسيارة إسعاف مجهّزة :

أومأ برأسه ، قائلاً :

ـ لقد اتخذنا كل الاستعدادات اللازمة ، ولدينا خبراء ، وسيارة الإسعاف تقف بالخارج .

مطّت شفتيها ، وكأنما لا يروق لها ما يحدث ، وقالت :

ـ بقى أمر واحد .

تطلّع إليها متسائلاً ، فأضافت فى حزم :

ـ المباحث الفيدرالية أكّدت ضرورة عدم خروج المريضة ، دون موافقة صريحة من المفتش (هانكس) ، أو من ينوب عنه ؛ لأنهم يحتاجون إليها ، فى قضية خاصة .

ناولها تصريحًا يحمل خاتم المباحث الفيدرالية ، قائلاً :

ـ ها هوذا .

طالعت التصريح الثانى فى شىء من الشك ، ثم لم تلبث أن هزّت رأسها ، قائلة :

- أعتقد أن كل شىء على ما يرام .

ثم اعتدلت ، مستطردة فى حزم :

- يمكنكم أخذ المريضة .

ابتسم صاحب الملامح الهادئة ، واستدار يشير إلى اثنين من الرجال ، تقدّما فى سرعة نحو حجرة (منى) ، وراحا يؤديان عملهما فى سرعة ودقة ، تشفّ عن مدى احترافهما ، فى هذا المجال ، ثم دفعا فراش (منى) أمامهما إلى المصعد ، ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كانا يحملانه إلى سيارة الإسعاف المجهّزة ، وصاحب الملامح الهادئة يحتلّ مكانه إلى جوار سائقها ..

ومن نافذة حجرة (قدرى) شاهدت (جيهان) هذا المشهد ، وغمغمت فى حيرة :

- عجبًا !.. إنهم ينقلون (منى)!!.. كنت أعتقد أنهم لن يفعلوا هذا قبل ..

بترت عبارتها بغتة ، عندما وقع بصرها على سائق سيارة الإسعاف المجهزّة ، واتسعت عيناها فى ذعر ، هاتفة :

- ربّاه !.. إنه لا يرتدى الزى الرسمى المفترض .

ثم انطلقت تعدو ، صائحة :

- إنهم يختطفونها .

اتسعت عينا (قدرى) فى هلع ، وهو يهتف :

- يختطفونها ؟!.. يا إلهى !.. (منى) .. (منى) .

أما (جيهان) ، فقد انطلقت بأقصى سرعتها ، عبر ممرات المستشفى ، وعندما بلغت الباب الخارجى ، كانت سيارة الإسعاف قد انطلقت بالفعل ، فجرت خلفها ، صائحةً :

- انتظر يا هذا .. انتظر .

لمحها السائق فى مرآة السيارة الجانبية ، وسأل صاحب الملامح الهادئة فى قلق :

- إنها واحدة من ممرضات المستشفى .. هل نتوقّف ؟

هزّ الرجل رأسه فى هدوء ، وهو يجيب :

- كلاّ .. امض فى طريقك .. لم يعد أمرهم يعنينا .. دعهم يبلغون الشرطة لو أرادوا .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ، وهو يستطرد :

- السنيورا لا يعنيها هذا كثيرًا .

ومع قوله ، ضغط السائق دوّاسة الوقود بالسيارة ، ليزيد من سرعتها أكثر ، فلهثت (جيهان) ، وهى تعدو خلفه بأقصى سرعتها ، وتهتف :

- يا إلهى !.. لن يغفر لى (أدهم) أبدًا ، لو سمحت لهم بالفرار بها .. لن يغفر لى أبدًا .

وانحرفت إلى اليسار ، وانطلقت تعدو بمحاذاة سور المستشفى ، دون أن ترفع عينيها عن السيارة ، التى انطلقت تعبر الطريق ، الذى يدور حول المستشفى ، ثم قفزت (جيهان) متعلّقة بالسور ، وتسلّقته فى سرعة ومهارة ، ولم تكد تبلغ قمته ، حتى رأت السيارة مندفعة نحوها ، فقفزت إلى سقفها ، و ..

وارتطمت بسقف السيارة فى عنف ، وهى تنحرف بغتة ، ففقدت (جيهان) توازنها ، وحاولت التشبث بمصباح سيارة الإسعاف ، ولكن يدها انزلقت عنه ، فتراجع جسدها فى حركة حادة ، ولكنها نجحت فى التعلق بحافة السيارة ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها صاحب الملامح الهادئة فى السائق :

- اضغط الفرامل بسرعة .

ضغط السائق فرامل السيارة بحركة حادة مباغتة ، فشهقت (جيهان) ، وجسدها يندفع إلى الأمام فى قوة ،



وحاولت التشبث بمصباح سيارة الإسعاف ، ولكن يدها انزلقت عنه ، فتراجع جسدها فى حركة حادة ..

وارتطم رأسها بمصباح السيارة ، الذى تحطم فى قوة ،. وهى تتدحرج وتهوى إلى الأرض ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها جسدها بالأرض ، انطلق السائق بالسيارة ..

وعلى الرغم من الدوار العنيف ، حاولت (جيهان) الانطلاق مرة أخرى خلف السيارة ، إلا أن ساقيها لم تطاوعاها ، فهتفت فى مرارة ، وهى تقاوم دموع الفشل :

ـ لن يغفر لى أبدًا .

وعضت شفتيها فى قهر ، والسيارة التى تحمل (منى) تبتعد ..

وتبتعد ..

وتبتعد .

* * *



١٢ ـ القتل بالجملة ..

ارتسمت على شفتى (تشارلز) ابتسامة كبيرة ، وهو يقول لـ (توماس) ، فى لهجة تحمل كل الظفر :

ـ الخطة تسير على ما يرام .

سأله (توماس) فى اهتمام :

ـ هل أرسلوه إلى السجن المركزى ؟

أومأ (تشارلز) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنه فى طريقه إلى هناك الآن ، وعندما يصل سيكون رجالنا فى استقباله .

سأله (توماس) فى حزم :

ـ أأنت واثق من ولائهم لنا ؟

أطلق (تشارلز) ضحكة ساخرة ، قائلاً :

ـ ما الذى تقصده بولائهم لنا يا رجل ؟!.. الولاء الوحيد الذى يحمله أمثال هؤلاء للنقود وحدها .. الدولارات .. تلك الأوراق الخضراء الجميلة ، التى يبيع من أجلها الشقيق شقيقه ، وتنحر الأم وليدها .. ولقد حصلوا على الكثير ، ويأملون فى الحصول على الأكثر ، بعد أن يقضوا عليه .

تطلّع إليه (توماس) لحظة فى صمت، قبل أن يتراجع فى مقعده، ويسأله:

ـ ما الذى سيفعلونه بالضبط؟

قال (تشارلز)، وهو يغمز بعينه:

ـ سيحسنون استقباله.

انعقد حاجبا (توماس) فى ضيق، فاعتدل (تشارلز)، واستعاد جديته، وهو يقول:

ـ لم أحدّد لهم خطة بعينها، ولكننى طلبت منهم التخلّص منه بأفضل وسيلة ممكنة.

هتف (توماس) مستنكرًا:

ـ فقط.

ثم هبّ من مقعده، مستطردًا فى حدة:

ـ يا للعبث!

احتقن وجه (تشارلز)، وهو يردّد:

ـ العبث؟!.. أى عبث يا (توم).. الرجال أدرى بظروفهم، ولا يمكننا إلزامهم بخطة محدودة.

أجابه (توماس) فى غضب، وهو يلتقط سمّاعة الهاتف:

ـ بل من الضرورى أن تفعل.. لا يمكنك أن تعتمد على الارتجال، فى مواجهة مثل هذا الرجل.

وضغط أزرار الهاتف، وهو يغمغم فى سخط:

ـ ألم تر كيف يعمل؟

أجابه (تشارلز) فى عصبية:

ـ الرجل سيصل إلى السجن قبل أن يستعيد كامل وعيه يا (توم)، ولن يصعب على الرجال التخلّص منه عندئذ.

قال (توماس) فى صرامة:

ـ لو أنك أحسنت قراءة ملفّه، لوجدت أنه لا يوجد أى شىء مضمون، فى التعامل مع أمثاله.

قال (تشارلز):

ـ ولكن يا (توم)..

أشار إليه (توماس) بالصمت، وهو يقول عبر الهاتف:

ـ مرحبًا يا (بيرت).. إنه أنا.. (توم).. (توماس كلارك).. قل لى يا رجل: أمازلت تعمل فى السجن المركزى؟

استمع إلى الجواب فى اهتمام، قبل أن يقول:

ـ عظيم.. إننى أحتاج إليك هناك.. متى تبدأ نوبتك؟. فى العاشرة مساءً؟!.. فليكن.. احضر لزيارتى، قبل أن تذهب إلى هناك.. سأكون فى انتظارك.

سأله (تشارلز) عندما أنهى الاتصال :

ـ من (بيرت) هذا ؟

لوّح (توماس) بيده ، قائلا :

ـ الشخص القادر على التخلُّص من (أدهم صبرى) بحق ، داخل السجن المركزى .

ثم سأله بغتة :

ـ ولكن أخبرنى : ما الذى كنت تقصده ، عندما قلت : إنه سيصل إلى السجن ، قبل أن يستعيد كامل وعيه ؟

أجابه (تشارلز) :

ـ لقد اضطُروا لتخديره فى مبنى المباحث الفيدرالية ، بعد أن هاجم أحد رجالهم فى عنف .

اتسعت عينا (توماس) ، وهو يهتف :

ـ خدروه ؟!.. ولماذا لم يتم استغلال فترة تخديره للتخلُّص منه ؟

أجابه (تشارلز) فى توتر :

ـ ذلك المفتش (هانكس) لم يفارقه لحظة واحدة ، وأصرّ على حراسته بنفسه ، حتى يصل إلى السجن المركزى .

انعقد حاجبا (توماس) ، وهو يردِّد :

ـ المفتش (هانكس) ؟

وصمت لحظات مفكرًا فى عمق ، قبل أن يقول :

ـ فى المرة القادمة ، لا تجعل هذا يوقفك .. اقتل المفتش أيضًا ، لو اقتضى الأمر ، ثم تخلَّص من غريمك .

ثم عاد إلى مقعده ، مستطردًا :

ـ وهذا ما سأطلب من (بيرت) أن يفعله الليلة ، لو أنه نجا (أدهم صبرى) من أسلوب القتل العشوائى هذا .

نعم . هذه هى العبارة الصحيحة ..

لو أنه نجا ..

لو ..

* * *

« استيقظ يا رجل .. استيقظ .. »

استعاد (أدهم) وعيه فى بطء ، وتلك العبارة تتسلَّل إلى عقله ، ففتح عينيه ، وتطلَّع لحظة إلى وجه المفتش (هانكس) ، قبل أن يستعيد عقله صفاءه نسبيًّا ، ويبتسم قائلاً فى سخرية :

ـ عجبًا !.. هل يمكن أن ينتقل المرء إلى الجحيم بهذه السرعة ؟

تراجع المفتش (هانكس) فى مقعده ، وهو يقول فى هدوء :

- من يدرى يا سيِّد (أدهم) ؟.. ربما كان الجحيم أفضل من هذا المكان ..

اعتدل (أدهم) جالسًا ، وانتبه لأوّل مرة إلى أنه داخل زنزانة صغيرة مغلقة ، فقال متهكمًا :

- ما هذا المكان الفاخر ؟.. أهو أحد فنادق الدرجة الأولى ؟

أجابه (هانكس) :

- بل أفضل من هذا .. إنه سجن (نيويورك) المركزى ، ذو الخمسة نجوم .. قل لى : أين تحب تناول طعام الإفطار ؟.. هنا أم فى حجرة الإعدام .

ابتسم (أدهم) فى خبث ، قائلاً :

- لا توجد حجرة إعدام ، فى سجن (نيويورك) المركزى :

ارتفع حاجبا (هانكس) فى دهشة ، قبل أن يقول :

- هل تحفظ جغرافية المكان ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه قائلاً فى استهتار :

- ليس بدرجة كافية .

رمقه (هانكس) بنظرة شك طويلة ، قبل أن ينهض قائلاً :

- هل تعلم يا سيِّد (أدهم) ؟.. إننى أميل إلى تصديق

قصتك ، فقد راجعت الموقف كله ، ووجدت أن رجلا مثلك لن يحاول الفرار من مبنى المباحث الفيدرالية بخطة ساذجة مباشرة كهذه .

قال (أدهم) ساخرًا :

- يا للروعة !.. هل المفترض أن ألهب كفى بالتصفيق ؟

هزّ (هانكس) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى جدية :

- بل يكفى أن تجيب أسئلتى ، فقد حاول أحد رجالى قتلك ، لحساب جهة ما ، وأنا واثق من أنك تعرف هذه الجهة ، وتعرف لماذا تسعى للتخلص منك ، كما أن موقفك فى القاعدة الجوية ما زال يثير حيرتى .

ومال نحوه قليلاً ، ليسأله فى اهتمام :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط يا سيِّد (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وهو يجيب :

- الشهرة .

اعتدل (هانكس) ، ورمقه بنظرة طويلة ، قبل أن تنطلق من أعماق صدره زفرة قوية ، ويقول :

- فليكن يا سيِّد (أدهم) .. هذا شأنك .. لا يمكننى إجبارك على أن تقصّ علىّ ما لديك ، على الرغم من أنك تصرّ على أننا نقاتل فى جانب واحد .

قال (أدهم) ، وهو يسترخى على فراش الزنزانة فى هدوء :

ـ هذا صحيح .

قال (هانكس) فى حدة :

ـ ألا يتبادل الحلفاء المعلومات على الأقل ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم أسبل جفنيه ، قائلاً :

ـ هل تعلم أن الجنرال (أيدن) لم يكن وطنيًا مخلصًا ؟

جلس (هانكس) ، وهو يسأله فى لهفة :

ـ ألديك دليل على هذا ؟

أجابه (أدهم) :

ـ لو أنك بحثت جيدًا ، فستعثر على الكثير من الأدلة .. راجع مثلاً ملفات التدريب ، وخط سير طائرة (فريمان) الهليوكوبتر ، وسيقودك هذا إلى الكثير .

انعقد حاجبا (هانكس) ، وهو يسأله :

ـ وماذا أيضًا ؟

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ هذا يكفى الآن .

اعتصر (هانكس) شفتيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ اللعنة !

ثم سأله فى عصبية :

ـ أأنت هنا بسبب عملية اختطاف السفير ؟

لم يجب (أدهم) بكلمة واحدة ، فتابع (هانكس) :

ـ لماذا لم تطلب التدخل بصفة رسمية ؟

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يسبل جفنيه تمامًا ، فأضاف (هانكس) فى لهفة :

ـ ولكنك رجل مخابرات مصرى .. أليس كذلك ؟

فتح (أدهم) عينيه ، وتطلع إليه ، قائلاً :

ـ ألا تشعر بالملل أبدًا أيها المفتش ؟!

انعقد حاجبا (هانكس) فى غضب ، وهو يقول :

ـ يا للسخافة !.. ألا يمكنك أن تبدى شيئًا من التعاون ؟!.. ألا تدرك أنك تدين لى بحياتك .

تطلع إليه (أدهم) بدهشة متسائلاً ، فتابع محتدًا :

ـ نعم .. تدين لى بحياتك .. لقد أدركت من محاولة الرجل قتلك ، فى مبنى المباحث الفيدرالية ، أنك مستهدف من قبل جهة ما ، فأصررت على أن أصحبك بنفسى إلى هنا ، وحتى وضعوك داخل زنزانتك .. هل تعلم ما كان يمكن أن يصيبك ، لو لم أفعل ؟!

اعتدل (أدهم) جالسًا ، وهو يتطلع إليه فى اهتمام ، فأضاف الرجل فى غضب :

ـ إنك هدف لجهة قوية .. قوية للغاية ؛ بدليل أنها استطاعت اختراق المباحث الفيدرالية ، وشراء بعض رجالها ، ولتعلم أن السعر هنا يقلّ كثيرًا عن سعرنا ، والذى يستطيع شراء رجل واحد من رجال المباحث الفيدرالية ، يمكنه شراء نصف حرّاس السجن دفعة واحدة ، وهذا يعنى أنك ستواجه خطرًا داهمًا هنا .. هل تدرك هذا ؟

صمت (أدهم) لحظة ، وهو يتطلّع إليه فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ صدقنى أيها المفتش (هانكس) .. يسعدنى للغاية أن ألتقى برجل مثلك .

بُهت (هانكس) للعبارة ، فتطلّع إليه فى دهشة ، وهو يسأله :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (أدهم) فى جدية :

ـ فى هذا العالم القاسى المعقّد ، من العسير أن يلتقى المرء برجل شريف مثلك ، يسعى إلى الحقيقة والعدل وحدهما ، وعندما يحدث هذا ، فمن الضرورى أن يشدّ المرء على يده فى احترام .

ثم مدّ يده إلى المفتش (هانكس) ، وصافحه فى قوة ، قائلاً :

ـ أهنئك .

تطلّع إليه (هانكس) فى حيرة ، قبل أن يسأله فى حذر :

ـ هل تسخر منى ؟

أجابه (أدهم) فى سرعة وحزم :

ـ مطلقًا .

كان صادقًا فى وضوح ، حتى أن (هانكس) شعر فى أعماقه بشىء من الفخر ، لأن رجلاً مثل (أدهم صبرى) يرى أنه أهل للاحترام ، ولكنه تابع فى خفوت :

ـ ألا يكفى هذا لتتعاون معى ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لو أنك فى موضعى ، هل كنت ستتخلّى عن قواعدك لمجرّد الامتنان لشخص ما ؟

صمت (هانكس) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ كلاّ ..

ثم نهض ، وأشار إلى الحارس ليفتح باب الزنزانة ، وهو يقول :

ـ لست أملك الآن سوى أن أنصحك باتخاذ الحذر ، فوجودك هنا يحتاج إلى يقظة دائمة ، وإلى النوم بنصف

عين ، فلو أغلق مثلك عينيه هنا لحظة واحدة ، لن يمكنه أن يفتحهما أبدًا .

ابتسم (أدهم) ، قائلا :

ـ أشكرك على النصيحة .

غادر (هانكس) الزنزانة ، وترك الحارس يغلقها فى إحكام ، وهو يقول :

ـ أتمنى أن أراك غدًا .. على قيد الحياة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء .

ـ بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

راقبه (أدهم) ، وهو يبتعد ، ويغادر المنطقة كلها ، ثم تحسس رتاج الباب فى هدوء ، مغمغمًا :

ـ إننى أصدقك أيها المفتش .. لابد من النوم هنا بنصف عين .

كان الرتاج من نوع متطور ، لا يمكن فتحه إلا باستخدام مفتاحه الخاص ، فهز (أدهم) كتفيه ، وعاد إلى فراش الزنزانة ، واستلقى عليه ، وهو يدرس الأمر كله ..

إنه الآن داخل زنزانة صغيرة مغلقة ، فى سجن (نيويورك) المركزى ..

هناك من يستهدفه بالفعل ..

وربما منذ البداية ..

كلما راجع الأحداث ، تبيّن له أنه الهدف الأساسى فى العملية كلها ..

وأن السنيورا هى التى تسعى خلفه ..

وبمنتهى الإصرار ..

وهذا يقوده إلى اسم واحد ..

(سونيا جراهام) ..

لم يدر لماذا يرفض طردها من ذهنه ، على الرغم من أن كل قواعد العقل والمنطق تؤكد أنها ليست المسئولة عن هذا ؟!..

ولكن كل الأحداث تحمل أسلوبها ..

لمستها ..

رائحتها ..

« إذن فأنت ذلك الأسطورة ، الذى يتحدثون عنه .. »

قطعت العبارة الفظة سيل أفكاره ، فأدار عينيه فى بطء إلى قضبان الزنزانة ، ورأى زنجيًا ضخم الجثة ، يقف محدقًا فيه من خلفها ، فقال فى صرامة :

ـ ابتعد أيها الوغد .. إنك تحجب عنى الهواء .

ابتسم الزنجى فى سخرية ، قائلا :

ـ وسليط اللسان أيضًا .. هذا يبدو أشبه بفيلم سينمائى رخيص .

انتبه (أدهم) فجأة إلى أن ذلك الزنجى الضخم يرتدى زى السجن التقليدى ، وعلى الرغم من هذا فهو يقف خارج زنزانته ، في غير المواعيد الرسمية ..

ثم أنه يحمل زجاجة كبيرة ، مملوءة بسائل وردى اللون ، فاعتدل فى حركة حادة ، وسمع الزنجى يستطرد فى شراسة :

- هل تحب الأفلام الرخيصة أيها الأسطورة ؟.. دعنى أريك مشهدًا يصلح لها .

قالها ، وألقى الزجاجة على أرضية زنزانة (أدهم) فى عنف ، فتحطمت بدوى شديد ، وتناثر ذلك السائل الوردى على مساحة واسعة ، وتصاعدت رائحة البنزين قوية ، والزنجى العملاق يقول ساخرًا شامتا :

- السنيورا ترسل إليك تحياتها .

وأطلق ضحكة وحشية عالية ، وهو يشعل قدّاحته ، مستطردًا :

- تحياتها الأخيرة .

هتف (أدهم) :

- أيها الوغد الحقير .

ولكن الزنجى ألقى القدّاحة المشتعلة ، فوق بقعة البنزين الكبيرة فى منتصف الزنزانة المغلقة ..

واشتعلت النيران .

انتهى الجزء الأول بحمد الله ويليه الجزء الثانى
(اتحاد القتلة)

* * *

رقم الإيداع : ٣٦١٩

الأفعى!!

- من هى زعيمة المنظمة التجسسية الجديدة، التى يطلقون عليها اسم (السنيورا)؟!..
- ماسر اختطاف السفير المصرى فى قلب (واشنطن)؟!..
- كيف يواجه (أدهم) و(چيهان) وحدهما عمالقة القتل والجريمة، بقيادة (الأفعى)؟!..
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل.. (رجل المستحيل)..



العدد القادم : اتحاد القتلة

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

106

الثمن فى مصر ٢٠٠

ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم